وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

الماندراغولا

مسرحية



تأليف : نيكولا مكيافيللي
ترجمة : نبيل المهايني

مسرحيات عالمية 4

الماندراغولا

تصميم الغلاف

خالد يزبك

الماندراغولا

مسرحية

تأليف : نيكولا مكيافيللي
ترجمة: نبيـل المهايـني

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٢م

العنوان الأصلي للكتاب:

La Mandragola

Niccolò Machiavelli

الماندراغولا: مسرحية / تأليف نيكولا مكيافيللي؛ ترجمة نبيل المهايني .- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتـــاب، ٢٠١١م .- ١٦٨ ص؛ ٢٠ سم.

(مسرحيات عالمية؛ ٤)

١ - ٨٥٢ م ك ي م ٢ - العنوان ٣ - مكيافيللي

٤ - المهايني ٥ - السلسلة

مكتبة الأسد

مسرحيات عالمية

« ٤ »

المسرحية

مؤلف مسرحية «الماندراغولا» هو نيكولا مكيافيللي الذي اشتهر في العالم كله بكتاب «الأمير»، جليس حكام العالم منذ قديم الزمان، ودستور الكثيرين منهم بل ومن غيرهم من المتسلّطين ومحبّي العلّو في الأرض.

كتب مكيافيللي مسرحية «الماندراغولا» بين عامي ١٥٠٤-١٥١٨. لكنها لم تصدر إلا في عام ١٥٢٤.

إنها مسرحية نقدية ساخرة تستعرض فساد المجتمع الايطالي خلال عصر النهضة في القرن الخامس عشر. ويقال إن مكيافيللي كتبها بعد أن نفته عائلة ميديشي الحاكمة بسبب ما أشيع عن تآمره عليها.

مسرحية «الماندراغولا» هي ترجمة اجتماعية للفلسفة السياسية والفكرية الشهيرة التي يقوم عليها كتاب «الأمير»: الغاية تبرر الوسيلة. تدور المسرحية خلال زمن لايزيد عن أربع وعشرين ساعة تسعى كل الشخصيات خلالها لأن تحقق مأْرَباً

خاصاً بها لا يتحقق إلا إذا تحققت مآربُ الآخرين. فالزوجُ المغفل ودكتور الفلسفة الأحمق *نيتشا* يريد أن يُرزق بولدِ مهما كَلّف هذا الأمر. والعاشقُ الفاسق *كاليماكو* يريد أن يصل إلى زوجةِ نيتشا بالمكر والخديعة فيستعين بصديقه الخبيث *ليغوريو* الذي طمع في البداية بمجرد وجبة غداء ثم بأكثر من هذا بكثير. وهناك الراهب المرتشي *تيموتيو* الذي يريد أن يلمّ صدقات-رشاوى مقابل فتاوى فاجرة على المقاس، بل وليساعد في تنفيذ الخديعة. أما الخادم *سيرو* فلايريد إلا إسعاد سيده كاليماكو وبالطريقة التي يريدها سيده. هناك أيضاً *سوستراتا*، حماة نيتشا، التي تريد أن تُرزق ابنتُها *لوكريتسيا* زوجةُ نيتشا، بولدِ قبل أن يموت نيتشا وتتقاذفها الكلاب من بعده. الشخصية الوحيدة التي لا تريد شيئاً من كل هذا هي الشخصية الأخلاقية الوحيدة أيضا في كل المسرحية: إنها لوكريتسيا الزوجة التي بقيت عفيفة حتى تكالب عليها كل الآخرين وأقحموها في خديعتهم فظنت أن الإرادة الإلهية بعينها هي التي تدعوها لدخول حلبة الفساد فرضخت لتتحقق في نهاية المسرحية رغبات الجميع: الولدُ (على أن يكون صبياً) لنيتشا المخدوع، ولزوجته التي خانته نزولاً عند رغبته، ولأمها التي حسبت أنها صنعت معروفاً لابنتها. الوصالُ لكاليماكو. والجوائز للخادم سيرو والصديق الفاسق ليغوريو

والراهب المرتشي تيموتيو. ولنر كيف تعلن لوكريتسيا، التي كانت عفيفة، سقوطَها في حبائل الخدعة الكبرى التي حبكها الجميع. تقول مخاطبة رأس المكر، كاليماكو، بعد أن تناغما وتوافقت أهواءهما: «*إن دهاءَك، وحماقةَ زوجي، وبساطةَ أمي، ونفاقَ الراهب الذي اعترفُ عنده، جعلتني كلها أقوم بما كان من المستحيل أن أقوم به من تلقاء نفسي، وإني أميل الآن للظن بأن هذا كله حدث بتدبير سماوي وإني لست بالطبع قادرة على دفع ماتريد السماء أن أقبل به*». بل إنها ذهبت لأبعد من هذا بأن قالت بصريح العبارة: «*وإني أرغب اليوم بأن يحدث على الدوام ذاك الذي أراده زوجي أن يحدث لليلة واحدة. ستكون أنت إذن صديقاً له وستأتي هذا الصباح إلى الكنيسة ثم تأتي بعدها إلى البيت لتناول الطعام معنا، ثم إنه بوسعك أن تأتي وتذهب على هواك ومتى تشاء دون أن يثير هذا أي شك لدى أي إنسان*».

أصبح الآن صحيحاً ماقالته إحدى الكاتبات الأميركيات عن المسرحية: «من المؤسف أن قصتها مؤسية محزنة وأنه لايوجد فيها أي شخصية أخلاقية، فكل شخصياتها تسعى سعياً حثيثاً من أجل تحقيق مكاسب خاصة على حساب مصالح الآخرين».

في هذه المسرحية يسخر مكيافيللي من الكنيسة فيجعلها مكاناً لمساومات الرشوة وحبكات الفسق، ويسخر من العائلة فيبنيها

على أساس الخيانة المطلية بألوان براقة، كما يسخر من المجتمع كله فيجعله دوامة تدور في بؤرتها المصالح المشبوهة لأناس لاهمّ لهم إلا السعي لتحقيق مآرب ضالة مضلة. ويقال إن مكيافيللي صوّر مدينته فلورنسة بشخصية لوكريتسيا التي كانت عفيفة قبل أن تسقط في خديعة الرذيلة، ويدعي مكيافيللي أن هذا سينطبق على مدنٍ - دولٍ أخرى مثل روما ومن بعدها بيزا:

« *إنها تمثل اليوم مدينتكم فلورنسة*

لكن روما غداً وبعدها بيز».

*   *   *

المؤلف



ولد نيكولا مكيافيللي في مدينة فلورنسة وسط ايطاليا وذلك في عام ١٤٦٩ ومات فيها عام ١٥٢٧. كان مكيافيللي مفكراً وفيلسوفاً سياسياً ذائع الصيت في إيطاليا إبان عصر النهضة. أشهر كتب مكيافيللي على الإطلاق هو كتاب «الأمير» الذي نظّر فيه فكرة أن «المفيد ضروري» أو أن الغاية تبرر الوسيلة. وكانت هذه صورة مبكرة للنفعية والواقعية السياسية التي مازالت سائدة في المنظر السياسي الدولي. كان مكيافيللي يعتبر أنه من المسموح استخدام كل الوسائل في الصراع السياسي، وقد برر بمقولاته القسوة والوحشية في صراع الحكام على السلطة.

نُحِّيَ مكيافيللي عن الحياة العامة فذهب إلى ريف فلورنسة وبدأ يقضي وقته بالكتابة. وقد كتب لصديق له رسالة مؤرخة في ١٣ أيلول- سبتمبر عام 1513، أورد فيها وصفاً مثيراً للحياة التي قضاها في تلك الفترة، وبين فيها الدوافع التي جعلته يكتب كتاب الأمير:

«بحلول المساء أعود إلى البيت، فأنزع ملابسي الحقلية المغطاة بالوحل والأوساخ، ثم أرتدي ملابس البلاط الأنيقة، وأدخل إلى المكتبة لأبقى في صحبة هؤلاء الرجال الذين يملأون كتبها، فيقابلونني بالترحاب وأتغذى معهم بأهم طعام. هناك لا

أتردد بمخاطبتهم كلهم وتوجيه أسئلة لهم عن دوافع أعمالهم، فيتلطفون علي بالإجابة. أمكث في المكتبة حوالي أربع ساعات لا أشعر خلالها بأي قلق، بل إني أنسى همومي. هناك أشعر أن العوز لا يخيفني والموت لا يرهبني. وقد ألفت كتاباً عن الإمارة، فيه مناقشة ماهية الإمارات، وأنواعها، وكيفية امتلاكها، ولماذا تُفقد. إنه عن أميرٍ جديد سيكون محل الترحاب... عندما يُقرأ هذا الكتاب فسيعرف القارئ أني لم أنم أو أتكاسل في دراسة فن السياسة وإدارة الدولة طوال الخمسة عشرة عاماً التي قضيتها متنقلاً بين الملوك ساعياً لأن أنهل من خبرتهم».

أهم صفات الأمير – الحاكم – بنظر ميكافيللي

في الأخلاق: عليه التخلص من الأخلاق والتقاليد والبدع والقيم المسيحية وخاصة التواضع والرضوخ للحكام، مع استعمال الدين كوسيلة لكسب الشعب فقط.

في السياسة الداخلية: عليه أن يجمع بين حب الناس وخوفهم منه، وإن تعسر ذلك فعليه أن يتأكد من أن يبقى مهاباً.

في السياسة الاقتصادية: عليه أن يسعى لتحقيق العدالة الاقتصادية وتوزيع الدخل بشكل عادل، لأن وجود أغلبية من الطبقة الفقيرة سيكون سبباً فيما بعد لقيام ثورة ضد الحاكم.

في السياسة الخارجية: عليه أن يتعلم كيف يتملص من عهوده ووعوده عندما تصبح عبئاً عليه. وعليه عدم التردد في استعمال القوة عند الضرورة.

في الحرب: ركز مكيافيللي على وجوب إقامة جيش قوي، لأن جيشاً من المرتزقة لا يجدي نفعا. فلاهمَّ للمرتزقة إلا النقود.

يقول مكيافيللي في كتاب الأمير: وهنا يقوم السؤال عما إذا كان من الأفضل أن تكون محبوباً أكثر من أن تكون مهاباً أو أن يخافك الناس أكثر من أن يحبوك. ويتلخص الرد على هذا السؤال في أن من الواجب أن يخافك الناس وأن يحبوك وإذا أصبح من العسير الجمع بين الأمرين، فإن الأفضل هو أن يخافوك على أن يحبوك، هذا إذا توجب عليك الاختيار بينهما.

وقال مكيافيللي عن الناس بصورة عامة: إنهم ناكرون للجميل، متقلبون، مراءون ميالون إلى تجنب الأخطار شديدو الطمع وهم إلى جانبك طالما أنك تفيدهم. ومصير الأمير الذي يركن إلى وعودهم دون اتخاذ أي استعدادات أخرى هو إلى الدمار والخراب إذ أن الصداقة التي تقوم على أساس الشراء لا على أساس نبل الروح وعظمتها هي صداقة زائفة.

من مقولات مكيافيللي

§ حبي لنفسي دون حبي لبلادي .

§ من الأفضل أن يخشاك الناس على أن يحبوك .

§ الغاية تُبرر الوسيلة .

§ أثبتت الأيام أن الأنبياء المسلحين احتلوا وانتصروا، بينما فشل الأنبياء غير المسلحين.

§ الدين ضروري للحكومة - لا لخدمة الفضيلة، ولكن لتمكين الحكومة من السيطرة على الناس .

§ من واجب الأمير أحياناً أن يساند ديناً ما ولو كان يعتقد بفساده.

§ ليس أفيد للمرء من ظهوره بمظهر الفضيلة .

§ لايجدي المرء نفعاً أن يكون شريفاً على الدوام.

ذاك كان مكيافيللي وتلك كانت أفكاره التعيسة التي مازالت للأسف الشديد رائجةً في كثيرٍ من أنحاء العالم.

* * *

مكيافيللي



الماندراغولا

الشخصيات

- كاليماكو
- سيرو
- السيد نيتشا
- ليغوريو
- سوستراتا
- الراهب تيموتيو
- إمراة
- لوكريتسيا

مقدمة

حياكم الله أيها المشاهدون.

يبدو أنكم اتخذتم هذا الموقف الحميد

لأن المسرحية أعجبتكم.

وإذا حافظتم على هذا الهدوء

فستمثل الفرقة ببراعة

فصولاً جديدة

حدثت في هذه المدينة.

شاهدوا هذه المناظر على المسرح

إنها تمثل اليوم مدينتكم فلورنسة

لكن روما غداً وبعدها بيزا

وإنكم ستضحكون ضحكاً يخلع الأحناك.

هذا الباب الذي على يميني

هو باب منزل دكتور

تعَلَّم قوانين بويتزوس[١].
أما تلك الطريق على ذلك المنعطف
فهي طريق العشق
الذي إن وقع المرء فيه فإنه لن ينهض ثانيةً.

وستتعرفون بعدها إلى
الراهب من ثيابه
إنه الراهب الكبير أو رئيس الدير
لذلك فهو يسكن في الكنيسة
التي على مفترق الطريق
وإنكم ترونها أمامكم، إن لم تبتعدوا[٢].

---

(١) Aniciius Boethius فيلسوف وأديب أثَّر في فكر القرون الوسطى، ولد في روما عام 480 ومات في بافيًا شمال شرق ايطاليا عام ٥٢٤.

(٢) أي أنه يسكن في الكنيسة المبنية على المسرح تجاه المشاهدين على مفترق الطريقين حيث يسكن الدكتور على اليمين وحيث يسكن العاشق كاليماكو على اليسار. ومن المفترض أن يشير الممثل الذي يتلو هذه المقدمة إلى تفاصيل خشبة المسرح التي يمثل عليها أبطال المسرحية.

الشاب كاليماكو غوادايني
عاد لتوِّه من باريس
يعيش هناك، باب بيته على اليسار
إنه يبدو بين كل الرفاق
بشوشاً في الظاهر ولطيفاً نبيلا.
هناك أيضاً شابة حكيمة
أحبها ذاك حباً شديدا
ثم أخذها بالخداع طريقا
ذلك كما ستشاهدون أماماً.
وكم أود أن يخدعوكم كما خدعوها.

اسم هذه الخرافة: الماندراغولا(١)
وستعرفون معنى هذا الاسم
كما أظن وأعتقد
عندما ترون هذه التمثيلية

---

(١) الماندراغولا اسمٌ لعشبةٍ كانت تنسب إليها خواص جنسية تخصيبية، وسيعرف من خلال المسرحية معنى استعمال هذا الاسم. ويعتقد أن الترجمة العربية لهذا الاسم هو نبات اليبروج.

وليس مؤلفها بذائع الصيت
لكنه، حتى لو لم تضحكوا،
فسيكون سعيداً بتقديم الشراب لكم.
إنها عن عاشق حقير
ودكتور قليلِ الحيلة
وراهب مرتش فاسد
وطفيلي ماكر، حاذقِ في تدبير الحيل(١)
سيقودهم كلهم ليُسلِّيكم.

إن بدت هذه التمثيلية غير جديرة
أو تافهة
بالنسبة لشخص يحاول أن يكون حكيماً مبجلاً
فاعذروا المؤلف
لأنه بذل قصارى جهده

---

(١) يبين المؤلف في هذه المقدمة خريطة المسرح ثم يشرح السمات الأساسية للشخصيات بعبارات سريعة لاذعة: فأبطال الكوميديا هم عاشق سيء الأخلاق (كاليماكو)، ومحام أحمق (نيتشا)، وراهب فاسد (الراهب تيموتيو)، وطفيلي شاطر في تدبير الحيل (ليغوريو).

وحاول أن يُلوِّن
بخواطره الفارغة وضعاً تعيساً
فاستعمل ألواناً عذبة رقيقة
لأنه لا يستطيع أن يتوجه بتلك الخواطر نحو مكان آخر
خاصة وأنه منع من إبداء فضائل أخرى بطريقة أخرى
كما أنه لا توجد مكافأة تكافئ أتعابه(١)

لكنه لا ينتظر إلا مكافأةً واحدة
هي أن يجلس كلٌّ في مكانه وهو يتبسم ساخراً
شاجباً كل ما يرى ويسمع.
فلا شكَّ
أن زماننا اليوم قد أفسد قيمَ الأمس القديمة
ويتحتم الآن على الناس
ممن يكثرون اللوم
أن يلتزموا حتى التشنج.

---

(١) يجب أن نلاحظ التناقض الواضح بين مفهوم «الخفة» وطبيعة الكاتب «الرزينة». إن الموقع البارز الذي وضعت فيه الكلمات الأساسية تظهر نقاطا على طرفي نقيض يعتمل بينهما فكر مكيافيللي.

إنهُ صنعَ وسطَ مصاعب كبيرة عملاً
ستبعثره الريح ويلفه ضباب اللاعنين

ومع هذا فإذا ظنَّ البعض أنه بإهانة هذا المؤلف
سيتمكن من تثبيط عزمه وثنيه عن عمله
فإن المؤلف قادر على رد الصاع صاعين
لأنه أمهر وأول اللاعنين
ولأنه في كل مكان في إيطاليا
لا يُحترم إنسان
مهما حاول إطاعة الأقوياء.

لكن لنتركهم يقولون ما يريدون من إهانات
ولنرجع إلى حالنا
قبل أن يطير الزمن.
فالمحاسبة لا تكون قذفاً بالعبارات
ولا بمدح أغبياء
لا نعرف إن كانوا أحياء.

سيخرج كاليماكو
ومعه خادمه سيرو، ليبيَّن
الأمر كله. فليصغ الجميع
ولا حديث غير هذا بعد الآن.

*   *   *

أغنية

تغنى قبل الكوميديا،

تغنيها الحوريات سوية مع الرعاة

لأن الحياة قصيرة

والأحزان كثيرة

يتحملها الجميع وهم يعيشون ويكافحون.

نجري خلف رغباتنا

ونحن نستهلك السنين.

لكن من يلقي جانباً أهواءه

ليعيش مع الأحزان والمتاعب

لا يعرف حيل الدنيا، أو الشرور

والأحوال الغريبة،

التي تخدع كل الأحياء.

كيما نتهرب من هذا العذاب

قررنا أن نعيش بعيداً عن أحزان العالم ومضايقات الحياة،

لنكون على الدوام في أعياد ومسرات

شباباً رشيقين وحوريات سعيدات.

وقد جئنا الآن

بهذه الموسيقى

لنُكرِّم هذا

الحفل السعيد وأطيبَ الأصحاب.

لقد أتينا إلى هذا المكان

باسم من يحكمكم(1)

إنه أميرٌ تجتمع في قلبه

---

(١) فرانشيسكو غونتشارديني حاكم منطقة رومانييه والذي بعث له مكيافيللي نص هذه الأغنية وأربع مقاطع أخرى لتنشد في مسرحية الماندراغولا المقررة في مدينة فلورنسة خلال كرنفال عام ١٥٢٦. وقد ألف الكاتب الأغنية وتلك المقاطع خصيصا لتلك المناسبة أي بعد مرور بضعة سنين على تأليف بقية المسرحية.

خيرات أبدية

من الخيرات العلوية.

إن هذه النعم السماوية

وهذه الدولة السعيدة

يجب أن تجعلكم فرحين.

عليكم إذن أن تسعدوا وتشكروا من منَّ بها عليكم[1]

* * *

---

(١) أي يجب ان تكونوا سعداء وتشكروا من عيّن لكم حاكماً بمثل هذه الصفات. يشير الكاتب هنا إلى كليمنته السابع أي جوليو دي ميديشي الذي عين غونتشارديني في عام ١٥٢٣.

الفصل الأول

المنظر الأول

كالّيماكو وسيرو

كالّيماكو

لا تذهب يا سيرو، أنا بحاجة إليك في بعض شأني.

سيرو

هاأنذا.

كالّيماكو

أظن أنك شدَّ ما دهشتَ لسفري المفاجئ من باريس، وأنك تدهش الآن أيضاً لأنه مضى عليّ شهرٌ هنا دون أن أفعل شيئاً.

سيرو

إنك تقول الصدق

كالّيماكو

إذا كنت لم أقل لك ما أنا الآن قائلُهُ، فهذا لم يكن لقلَّة ثقة بك، لكن لأن الإنسان يجب أن يكتم الأمور التي لا يريد أن يعرفها غيره وأن لا يفصح عنها إلا مُكرَهاً. أما الآن إذ أظن أني بحاجة إلى عون منك فإني سأفصح لك عن كل أمر.

سيرو

إني خادمكم. ولا ينبغي للخدم أن يسألوا أسيادهم عن أي أمر ولا أن يستقصوا أخبارهم إن لم يفصحوا عنها، لكن ما إن يقولوا هم أنفسهم أمراً فعلى الخدم أن يخدموا أسيادهم بكل أمانة. هكذا فعلت أنا، وهذا ما أنا الآن فاعله.

كالّيماكو

كنت أعلم هذا. أعتقد أنك سمعتني أقول ألف مرة، ولا بأس أن تسمعني مرة أخرى، أنه كان لي من العمر عشر سنوات، وكان أبي وأمي قد ماتا، عندما أرسلني الأوصياء عليّ إلى باريس حيث مكثت عشرين سنة. بعد ذلك بعشر سنين وبعد مرور الملك كارلوس(١) وحروب ايطاليا التي وحدت بعض المناطق، قررت أن أعيش في باريس وألا أغادرها أبدا على أساس أنّي أجد فيها من الأمن ما لا أجده هنا.

---

(١) الملك كارلوس الثامن مرَّ في ايطاليا عام ١٤٩٤

سيرو

إنه لكذلك.

كالّيماكو

وعلى اعتبار أني وكلت من باع لي كل أملاكي هنا عدا البيت فإني عشت هناك عشر سنين أخرى قضيتها بسعادة كبيرة.

سيرو

إني اعرف هذا.

كالّيماكو

... وكنت قد قسمت الوقت بين الدراسة والملذات وقضاء حاجاتي ولم أسمح أن تجري واحدةٌ من هذه الأمور على حساب غيرها. لهذا فإني كنت كما تعلم أعيش باطمئنان، أُحسن للجميع، حذراً من أن أسيء لأي كان، حتى كنت أظن أني كنت مقبولاً من الجميع: من برجوازيين وسادة وغرباء وملاكين، كما من الفقير والغني.

سيرو

إنك تقول الحقيقة.

كالّيماكو

لكنه ما إن بدا لحظوظ قدري أني أصبحت سعيداً، حتى دبَّرت لي مجيء كاميللو كالفوتشي إلى باريس.

سيرو

بدأت أحزر الذي تعانون منه.

كالّيماكو

كنت غالباً ما أدعو هذا الشخص، مثلما كنت أفعل مع غيره من أهالي فلورنسة. وحدث أن وصل بنا النقاش خلال حديثٍ من أحاديثنا إلى التساؤل في: أيهن أجمل نساء فرنسا أو نساء ايطاليا؟ وبما أنه لم يكن بمقدوري الحكم على الايطاليات لأني كنت صغيراً عندما سافرت، فإن شخصاً آخر من فلورنسة بين الموجودين أخذ جانب الفرنسيات، بينما حكم كاميللو للإيطاليات. بعد أن احتدم النقاش بين الجانبين اعترى الغضب كاميللو فقال إذا كانت كل نساء ايطاليا مثل القرود فإن واحدة بين أقربائه كانت كفيلة بتشريفهن جميعاً.

سيرو

لقد اتضح لي الآن ما الذي تريدون قوله.

كالّيماكو

وهكذا فإنه سمى السيدة لوكريتسيا زوجة السيد نيتشا كالفوتشي. ثم إنه أغدق في مدح جمالها وسلوكها حتى أدهشنا كلنا، وخلق في قلبي رغبةً عارمة جعلتني أتوق لرؤيتها مما دفعني لأن أترك كل أموري وحاجاتي وأنسى حروب ايطاليا

وسلامها كي أتحرك وأجيء إلى هذا المكان حيث وجدت أن ما اشتهرت به السيدة لوكريتسا كان أقل بكثير مما هي عليه في الواقع وهذا مالا يحدث إلا نادراً ومما أشعل في نفسي الرغبة لأن أجتمع بها دون أن أجد لهذا سبيلا.

سيرو

لو أنك كنت كلمتني بهذا ونحن في باريس فإنه كان بوسعي أن أجد ما أنصحكم به، أما الآن فإني لا أعرف ما الذي أقوله.

كالّيماكو

لم أحدثك بما قلت لأستجدي نصيحة منك، ولكن لأفيض بما في نفسي ولكي تعدّ نفسك لمساعدتي عندما تقتضي الحاجة.

سيرو

أنا مستعد لهذا كل الاستعداد، ولكن بم تأملون؟

كالّيماكو

إنها شريفة جداً وبعيدة عن مشاغل الحب، زوجها شديد الغنى وفي يدها كل أموره، وإن لم يكن شاباً فهو ليس بالعجوز، ويبدو أنه ليس لها أقرباء أو جيران تجتمع بهم أو تلتقي معهم في حفل أو ملتقى مثل ما قد تفعله مثلها من الصبايا، وليس عندها تابعٌ ولا عائل أرجو من خلاله بعض الإفساد.

سيرو

ماذا تظن إذن أنك فاعل؟

كالّيماكو

إنه ما من أمر يبعث على القنوط إلا وفيه ما يبعث على الأمل، وإذا كان هذا الأمل ضعيفاً وبلا جدوى فإن إرادة الإنسان ورغبته بأن يحققه سيجعله يبدو غير ذلك.

سيرو

الخلاصة ما الذي يثير أملك؟

كالّيماكو

أمران: أولهما بساطة السيد نيتشا، فهو وإن كان دكتوراً فإنه أبسط وأحمق رجل في فلورنسة، ثانياً هناك رغبته ورغبتها في إنجاب أولاد، وهما لم يرزقا بولد رغم مرور ست سنوات على زواجهما، إنهما من كبار الأغنياء وهما يموتان بحرقة الحصول على ولد. وهناك أمر ثالث هو أن لها أُمّاً تصحبُها لكنها غنية، وهكذا فإني لا أستطيع أن أحكم على أي أمر.

سيرو

وهل جربتم أي شيء من كل هذا؟

كالّيماكو

نعم، حاولت، ولكنها أشياء صغيرة.

سيرو

وكيف؟

كالّيماكو

إنك تعرف ليغوريو الذي كثيراً مايأتي ليتناول الغداء معي. كان هذا سمسار زيجات ثم بدأ يستجدي وجبات عشاء وغداء وبما انه خفيف الظل فقد عقد معه السيد نيتشا صداقة وثيقة وأصبح ليغوريو يستغله وبما أنه لا يُطعمه فإنه يقرضه بعض الدراهم. لقد جعلت منه صديقاً لي وأخبرته بالغرام الذي يعتمل في صدري فتعهد بأن يساعدني بكل ما يستطيع.

سيرو

أحذروا ألا يخدعكم، فليس هناك بين القوادين من هو جديرٌ بالثقة.

كالّيماكو

هذا صحيح. ومع ذلك فإنه عندما ترى أن أحدهم يصلح لأمر تريده، فإنه يخدمك بصدق عندما تطلبه منه. ولقد وعدته إن هو نجح بمبلغ جيد من المال أما إن لم ينجح فإنه سيصيب عشاءً وغداءً، ما يجعلني على أي حال لا أتناول الطعام لوحدي.

سيرو

وماذا وعد حتى الآن أن يفعل؟

كالّيماكو

وعدني بأن يقنع السيد نيتشا بأن يذهب مع زوجته إلى الحمامات خلال شهر أيار هذا.

سيرو

وماهي مصلحتك في هذا؟

كالّيماكو

ما هي مصلحتي؟ يمكن لذاك المكان أن يحولها عن طبيعتها الجافية، فليس هناك إلا الحفلات. سأذهب إلى ذاك المكان وسأعرض ما أستطيع من مظاهر ثروتي، ثم أتقرب من الزوج. وماذا يدريك؟ قد يولد من الشيءِ شيءٌ يطوِّرهُ الزمان.

سيرو

يروق لي هذا الوصف.

كالّيماكو

جاءني ليغوريو هذا الصباح وقال إنه سيعرض على السيد نيتشا هذا الأمر ثم يجيبني.

سيرو

هاهما سوية.

كالّيماكو

سأتنحى جانباً كي أتمكن من التحدث إلى ليغوريو عندما يتخلص من الدكتور. أما أنت فاذهب إلى البيت وتدبر شؤونك وسأستدعيك إن احتجت إليك.

سيرو

إني ذاهب.

* * *

الفصل الأول

المنظر الثاني

السيد نيتشا وليغوريو

نيتشا

أظن أن نصائحك جيدة، وقد تكلمت بها مساء أمس مع المرأة فقالت أنها ستجيب اليوم، لكني أقول لك الحق بأني لا أذهب إلى هناك وأنا مسرور.

ليغوريو

لماذا؟

نيتشا

لأني عادة لا أبرح مكاني إلا مرغماً، ولا يروق لي ترحيل الزوجة والخدم والحشم. كما أني تكلمت بالأمر مساء الأمس مع الأطباء، فما كان إلا أن نصحني أحدهم بالذهاب إلى حمامات سان فيليبو، والآخر إلى بوريتّا والثالث إلى فيلاّ، إنهم جميعهم كالطيور الجوارح، بل الحق والحق أقول إن أولئك الأطباء لا يعرفون شيئاً في الطب كالصياد لا يعرف ماذا يصيد.

ليغوريو

إنكم تتضايقون من الذي ذكرتموه للتو، أي أنكم لم تعتادوا أن تخرج قبة كنيسة مدينة فلورنسة هذه عن نطاق نظركم.

نيتشا

إنك تخطئ، فعندما كنت أصغر سناً كنت شارداً ضالاّ، ولم يكن يقام معرضٌ في مدينة براتو[1] إلا وكنت أذهب إليه وليس هناك قلعة في جوار المدينة إلا وزرتها، بل إني أقول لك أكثر من هذا إذ أني زرت كلا من بيزا وليفورنو[2]، هيا، اغرب عن وجهي!

ليغوريو

لابد أنكم رأيتم درج بيزا؟

نيتشا

إنك تعني برج بيزا.

ليغوريو

طبعاً برج بيزا. وفي مدينة ليفورنو، هل رأيتم البحر؟

نيتشا

إعلم أني رأيته

---

(١) مدينة قريبة جداً من مدينة فلورنسة.

(٢) مدينتان قريبتان جداً من مدينة فلورنسة.

ليغوريو

وبكم هو أكبر من نهر أرنو[1]؟

نيتشا

وأي أرنو؟ إنه أكبر بأربع مرات، بأكثر من ست مرات، بل إنك تدفعني لأن أقول إنه أكبر بأكثر من سبع مرات: وإنك لا ترى هناك غير الماء والماء ثم الماء.

ليغوريو

إني لأعجب إذن من أمركم، فقد سبحتم في ثلوج كثيرة ثم تستصعبون الذهاب إلى الحمامات.

نيتشا

مازلتَ رضيعاً يملؤ الحليب فمك. فهل تبدو لك خرافةً أن يُقلب البيتُ رأساً على عقب؟ ومع هذا فإن رغبتي العارمة بأن أرزق بولد تدفعني للقيام بأي أمر. لكن حدِّث أولئك السادة الأطباء واسمع أين ينصحوني بالذهاب لأكون هناك مع المرأة ونجتمع هناك.

ليغوريو

هذا هو الصواب.

* * *

---

(١) النهر الذي يعبر فلورنسة.

الفصل الأول

المنظر الثالث

ليغوريو وكاليماكو

ليغوريو

لا أعتقد أن هناك في العالم رجلاً أشد بلاهة من هذا الرجل، ومع هذا فلشد ما حالفه الحظ! إنَّ له امرأة جميلة وعاقلة وخلوقة وجديرة بأن تحكم مملكةً بأسرها. هذا ما يحملني على الظن بأنه قلما يتحقق المثل السائر في الزواج والقائل «الله يخلق البشر فينتشرون»، فكثيراً مانرى لرجل عاقل موهوب امرأة مثل الوحوش، وعلى العكس من ذلك قد نرى امرأة رصينةً زوجُها مجنون. لكن لجنون هذا الرجل فوائدَ كثيرة تساعد كاليماكو على أن يعقد الآمال. هاهو ذا، أين تتسكع ياكاليماكو؟

كاليماكو

رأيتك مع الدكتور فتنحيتُ جانباً ريثما تتخلص منه فأرى ماذا صنعت.

ليغوريو

إنه الرجل الذي تعرف، قليل الحصافة وبائس النفس ولا يترك فلورنسة إلا بشق الأنفاس. ومع هذا فقد شجعته وشحنته حتى قال لي إنه سيفعل كل شيء نريده. أعتقد أنه عندما يحلو لك فإننا سنتمكن من قيادته، لكني لا أدري إن كنا سنفلح في صنع الذي نريده.

كاليماكو

لماذا؟

ليغوريو

ما يدريني؟ إنك تعلم أن هذه حمامات يرتادها ناسٌ من كلِّ الأصناف، ويمكن أن يأتي رجلٌ أغنى منكَ وألطف فيُعجب بالسيدةَ لوكريتسيا وتعجب به: وبهذا نكون قد بذلنا جهوداً يقطف الآخرون ثمارها، أو أن تعددَ المعجبين قد يقسي قلبها ويجعلها عصيّة على الاستمالة، أو قد يحدث أن يروق لها في النهاية شخصٌ آخر، فتشيح بوجهها عنك.

كاليماكو

أعرف أنك تقول الصدق. لكن ماذا أفعل؟ كيف أتصرف؟ لمن أتوجه؟ لابد لي من أن أقوم بمحاولة ما وإن كانت كبيرة، أو خطيرة، أو ضارة، أو مشينة. أفضلُّ الموتَ على حياةٍ كهذه. لو

كنت أستطيع أن أنام الليل، أو أن أتناول الطعام، أو أتبادل الحديثَ مع غيري، أو أن أستطيع التلذذ بأي شيء، فسيكون حينها بوسعي أن أصبر قليلاً وأن أنتظر الذي سيحدث. لكنه لا يوجد حل. وإن لم يسعفني الأملُ بإيجاد حلٍّ ما فإني ميِّتٌ لا مَحالة. أما إذا كان الموت هو ما ينتظرني فإني إذن لن أهابَ أمراً. بل سأقوم بكل ما هو وحشيٍّ، عنيف، وشرِّير.

ليغوريو

لا تقل هذا، بل عليك أن تتحكم باندفاعات قلبك.

كاليماكو

إنك ترى أني ما إن أسعى لضبطها حتى أقع في مثل هذه الأفكار. لكنه من الضروري أن نرسل هذا الرجل إلى الحمامات أو أن نجد طريقة أخرى تؤجج في قلبي الآمال حقيقيةً كانت أم زائفة، وتُوِّلد أفكاراً تُهِّون عليّ متاعبي.

ليغوريو

إنك على حق، وهذا ما سأفعله.

كاليماكو

أرى بخبرتي أن أمثالك يعيشون بالمكر وخداع الناس. اعلم إذن أنك لا يمكن أن تفعل مثل هذا معي، لأني ما إن أرى أنك بدأت تسعى لخداعي مثل ما تفعل مع غيري حتى أعمل بدوري

على الانتقام منك. ولن تستطيع بعدها أن تستعمل بيتي، بل ستتلاشى حينئذ كل آمالك التي علقتَها على وعودي.

ليغوريو

لا تشكنّ في إخلاصي، فإني إن لم أخلص سعياً وراء ما أرجو وما أتوقع من فائدة، فإني سأخلص لأنك تعجبني وتروق لي، ولأني أريد أن تحقق رغباتك تلك على هواك. دعني الآن أقول إن الدكتور عهِد إلي أن أجد طبيباً يرشده إلى أفضل حمام يناسبه. لذلك عليك أن تقوم بما أقوله لك: عليك أن تدَّعي انك درست الطب وحصّلتَ خبرةً في الطب في باريس. ولابد أن يصدقك الرجل بسهولة لأنه رجل بسيط وأنت متعلم وقادر على قولِ بضعة عبارات بلغة النحو.

كاليماكو

وما فائدة هذا كله؟

ليغوريو

سيفيدنا في توجيهه إلى الحمام الذي نريده نحن وفي تحقيق أمرِ آخر فكرت به، وقد يكون أقرب إلى آمالنا وأوثق وأنجح من فكرة الحمام.

كاليماكو

ماذا تقول ياهذا؟

ليغوريو

أقول أن تتشجع وأن تثق بي فتجد أن رغبتك تحققت قبل حلول هذه الساعة من الغد. وحتى لو كان هو رجلاً - وهو ليس كذلك – ثم حاول أن يكتشف ما إذا كنتَ طبيباً أو غير ذلك، فإن قِصَر الوقت وطبيعة الأمر سيمنعانه من التفكير في هذا قبل أن يتمكن من تخريب خطتنا.

كاليماكو

إنك تحييني. وهذا وعدٌ رائع يملؤني رجاءً وأملا. لكن ما الذي أنت فاعله؟

ليغوريو

ستعرف كل شيء في حينه. فليس الآن وقت أقوال بل وقت أفعال. اذهب الآن إلى بيتك وانتظرني هناك. بينما سأذهب أنا لملاقاة الدكتور، وعليك عندما أحضره إليك أن تُجاري قولي وتتصرف تبعاً له.

كاليماكو

وهكذا سأفعل. إنك تملؤني بأمل أرجو ألا يذهب أدراج الرياح.

* * *

الفصل الثاني

المنظر الأول

ليغوريو والسيد نيتشا وسيرو

ليغوريو

كما أسلفتُ وقلتُ فإني أعتقد أن الله أرسل لكم هذا الرجل كي تتمكنوا من تحقيق مرامكم. إنه قد حصّل في باريس تجارب عظيمة، لكنّه إن لم يمارس فنون مهنته في فلورنسة فذلك لأنه في المقام الأول غنيّ، ولأنه عازم أيضاً على العودة بين الفينة والأخرى إلى باريس.

نيتشا

ليس هذا بالخبر السار، لأني لا أريد أن أجد نفسي خالي الوفاض بعد أن أقع في الفخ.

ليغوريو

حذار أن يتسرب لقلبك الشك، فالخوف هو من أن يرفض البدء بإجراء هذا العلاج، أما إن بدَأَهُ فليس من شيمته أن يترككم دون أن تروا من أمركم مخرجاً.

نيتشا

إني أثق بك في هذا الشأن. أما عن درجة علمه فإني ما إن أكلمه حتى أتمكن من أن أحكم وأجزم فيما إذا كان هو رجل علم حقاً، لأنه لا يمكن لأي كان أن يبيعني بثورا.

ليغوريو

لأني أعرفكم حق المعرفة فإني سأقدمه لكم لتحادثوه. وإذا كلمتموه ولم تجدوا أنه، في ذاته وفي علمه وفي لغته، ليس رجلاً يستحق أن يُطأطأ له الرأسُ فقولوا عندها أني لستُ هذا الذي أمامك.

نيتشا

فليكن هذا الآن، ولنذهب باسم الحَبَل المقدس. أين هو هذا؟

ليغوريو

إنه في هذه الساحة، على قارعة تلك الجادة إزاءنا.

نيتشا

فلتكن ساعة مباركة. هيا، اقرع الباب.

ليغوريو

هاأنذا فعلت.

سيرو

من الطارق؟

ليغوريو

هل كاليماكو هنا؟

سيرو

نعم

نيتشا

هلا قلت المعلم كاليماكو؟

ليغوريو

إنه لا يهتم لمثل هذه الأمور.

نيتشا

لا تقل هذا، بل افعل واجبك، فإن لم يعجبه فهذا من شأنه.

*   *   *

الفصل الثاني

المنظر الثاني

كاليماكو والسيد نيتشا وليغوريو

كاليماكو

من الذي يريدني؟

نيتشا

Bona dies, dornine magister[1]

كاليماكو

Et vobis bona, do-mine doctor[2]

ليغوريو

كيف ترى الأمر؟

---

(١) طاب يومكم أيها المعلم الجليل.

(٢) ويومكم أطيب أيها الدكتور الكبير.

نيتشا

جيد.

ليغوريو

إذا أردتم أن أبقى هنا معكم فيجب أن تتكلموا بطريقة أفهم بها حديثكم، وإلا فإننا سنوقد نارين.

كاليماكو

أي أخبار طيبة؟

نيتشا

وكيف لي أن أعلم؟ يتهيؤ لي أني أجري وراء أمرين يهرب منهما غيري: أن أجرّ المتاعب لي ولآخرين. إنه ليس لي أولاد، وأريد أن أرزق بولد. وقد جئت أحرجكم من أجل حلّ هذه المشكلة.

كاليماكو

لايزعجني البتة أن أسدي المعروف لكم ولكل الناس الفاضلين والأجياد أمثالكم، وإني لم أجهد نفسي في باريس على مدى سنين كثيرة كي أحصّل العلم إلا لأتمكن من خدمة أمثالكم.

نيتشا

يا للإحسان! عندما تجدون حاجة لصنائعي فإني سأخدمكم بكل سرور. لكن لنرجع إلى حديثنا. هل فكرتم أيَّ حمام سيكون جيداً لتتشرب منه زوجتي؟ فأنا أعرف أن ليغوريو قد قال لكم ما قال.

كاليماكو

هذه هي الحقيقة. لكن الاستجابة لرغبتكم تتطلب مني معرفة سبب عقم امرأتكم. إذ أن هناك أسباباً عديدة للأمر.

Nam cause sterilitatis sunt: aut in semine, aut in matrice, aut in instrumentis seminariis, aut in virga, aut in causa extrinseca(1).

نيتشا

إن هذا مِن أجدرِ مَن يمكن أن أعرف من الرجال.

كاليماكو

فضلاً عن هذا يمكن أن يكمن سبب العقم فيكم، كأن تشكون من العنّة. عندها لا يمكن أن يكون للأمر أي علاج.

نيتشا

عنّين أنا؟ إنك تضحكني! لا أظن أن هناك رجلاً أقوى وأمتن مني في فلورنسة كلها.

كاليماكو

إن لم يكن هذا فقرَّ عيناً لأننا سنجد حلاً للمشكلة.

---

(١) أسباب العقم عديدة: فهي إما في المني، أو في الجهاز التناسلي، أو في بعض الأدوات ، أو القضيب، أو في أي سبب خارجي.

نيتشا

وهل هناك علاج آخر غير الحمامات؟ لأني لا أريد أن أتعرض لذلك الإزعاج، كما أن المرأة لا تحب أن تغادر فلورنسة إلا على مضض.

ليغوريو

بلى، سأجيب أنا عنه. لأن كاليماكو حذر وشديد الحذر، بل إنه حذر أكثر مما ينبغي. ألم تقولوا لي إن بوسعكم تحضير جرعات خاصة تساعد دون شك على أن تحمل النساء؟

كاليماكو

بلى، هذا صحيح. لكنك تعرف أني أربط لساني عندما أحدث أشخاصاً لا اعرفهم، كي لا يسيء أحد فهمي.

نيتشا

لا تشكّوا فيّ، فقد أدهشتني خصائصكم حتى أني لا يمكن أن أتوانى عن تصديق أو فعل أمر تطلبونه.

ليغوريو

أظن أن عليكم أن تفحصوا عيّنة.

كاليماكو

لاشك، ولا يمكن الاستغناء عن هذا.

ليغوريو

ادعي سيرو ليذهب مع الدكتور إلى البيت ويعود حيث ننتظره في البيت.

كاليماكو

سيرو! اذهب معه. وإذا رأيتم ذلك مناسباً أيها السيد فعودوا حالاً لننظر في ما هو جيد.

نيتشا

ماذا تقول: إذا رأيت الأمر مناسباً؟ إني سأعود في لحظات لأني أثق بكم أكثر مما يثق الهنغار بالسيوف.

*   *   *

الفصل الثاني

المنظر الثالث

السيد نيتشا و سيرو

نيتشا

إن صاحبك هذا رجلٌ عظيم حقاً.

سيرو

بل أكثر مما تقولون.

نيتشا

لابد أن ملك فرنسا يحترمه ويبجله.

سيرو

جداً.

نيتشا

لهذا السبب يطيب له أن يبقى في فرنسا.

سيرو

هذا ماأعتقده.

نيتشا

حسناً يفعل. ليس في هذه البلاد إلا الحثالة، ولا تُقَدّر فيها فضيلة. إذا بقي هنا فلن يجد أحداً يلتفت إليه. إني أعرف كيف أفكر، بعد أن عانيت الكثير لأتعلم كلمتين على بعضهما: ومع هذا فلو قُدِّر عليّ أن أعيش بما تعلمت فالهلاك أقرب. هذه هي الحقيقة.

سيرو

هل تكسبون مائة دوقية[١] في السنة؟

نيتشا

لا مائة ليرة[٢] ولا مائة غروسو[٣]، هيا. الواقع أن أمثالنا، إن لم تكن له مكانة على هذه الأرض، فلن يجد كلباً ينبح معه، ولن يتمكن إلا من الذهاب إلى الجنائز أو الأعراس أو المكوث طيلة النهار يتبختر مع العاطلين عن العمل على مقاعد الساحات.

سيرو

لا يساورنّكم شكّ.

---

(١) الدوقية أو دوكات هي عملة ذهبية كانت تستعمل في أوربا تزن 3.4909 غرام من ذهب عيار ٩٨٦ .

(٢) الليرة عملة كانت متداولة في ايطاليا حتى وقت قريب لكن بقيم مختلفة.

(٣) الغروسو عملة فضية كبيرة كانت في الأصل تزن ٢,١٨ غرام. يعني أن دخله قليل.

نيتشا

وصلنا إلى البيت. انتظرني هنا، سأعود في الحال.

سيرو

اذهبوا.

*　　*　　*

الفصل الثاني

المنظر الرابع

سيرو لوحده

سيرو

إذا كان بقية الدكاترة على شكل هذا الدكتور فإن أمثالنا إذن لا ينفعون إلا كما تنفع الحجارة في التنور: إن ذلك الخبيث ليغوريو ومعلمي المجنون سيقودان هذا الرجل إلى مكان ما يجلب له العار! والحق أن هذا ما أرغبه، لكنني أرجو ألا يفضح الأمرُ، لأن في ذيوعه خطرٌ على حياتي وعلى حياة سيدي وأملاكه. هاهو قد أمسى طبيباً، ولا أدري ما هي خطتهم، وإلى أين يريدون أن يصلوا بخداعهم. لكن هاهو الدكتور وفي يده المبولة، فمن لا يضحك لمرأى هذا الغراب؟

*   *   *

الفصل الثاني
المنظر الخامس

السيد نيتشا وسيرو

نيتشا

لقد فعلت كل شيء على هواك، أما الآن فإني أريد أن تفعلي ما أريد. لو كنت أعرف أني لن أرزق منك بولد فلكنت تزوجت فلاَّحةً. هل ذلك هو سيرو؟ إلحق بي. كم بذلت من الجهد حتى أعطتني تلك الحمقاء هذه العينة! إني لا أدعي أنها لا تحرص على إنجاب الأولاد، فهي قلقة لهذا أكثر مني، لكنه ما إن أسألها أن تحرك ساكناً في هذا الشأن حتى تخلق من الأمر مشكلة!

سيرو

تحلى بالصبر: حلو الكلام ضروريٌ لحمل النساء على فعل ما نريد.

نيتشا

أي كلام حلو طلي؟ إنك أحمق، اذهب يا جرذ وأخبر المعلم وليغوريو أني هنا.

سيرو

هاهما قادمان.

*   *   *

الفصل الثاني

المنظر السادس

ليغوريو، كاليماكو والسيد نيتشا

ليغوريو

إذا كان من السهل إقناع الدكتور فإن الصعوبة هي في إقناع المرأة، لكنه لن تنقصنا الحيلة.

كاليماكو

هل أتيت بالعيِّنة؟

نيتشا

إنها تحت مع سيرو.

كاليماكو

هاتها! أوه، تُظهر هذه العينة أن في الكلية ضعفاً.

نيتشا

بل إن فيها اضطراباً يعكرها، رغم أنها أخرجتها للتو.

كاليماكو

Nam mulieris, uri nae sunt semper maioris grossitiei et albedinis, et mi noris pulchritudinis quam virorum. Huius autem, in caetera, causa est amplitudo canalium, mixtio eorum quae ex matrice exeunt cum urinis.[1]

نيتشا

أوه! آه! يامهبل القديس بوتشو[٢]! لشد ما يثقفني هذا الرجل وأنا بين يديه، انظر كيف أنه يحسن محاكمة هذه الأمور!

كاليماكو

أخشى أنها لا تتغطى خلال الليل كما يجب، لذلك فإنها تطرح البول العكر.

نيتشا

إنها تستعمل غطاءً سميكاً، لكنها تبقى جاثيةً أربع ساعات وهي تتلو صلاة «أبانا الذي في السموات» قبل أن تخلد إلى سريرها، إنها تتحمل البرد كالوحوش.

---

(١) لا تندهش. فالواقع أن بول النساء هو أشد كثافة وبياضاً وأقل جمالاً من بول الرجال.

(٢) عبارة تعجّب فاحشة - بوتشو هو من شخصيات رواية الديكاميرون للكاتب الايطالي بوكاتشو.

كاليماكو

في نهاية الأمر إما أن تثقوا بي أو لا، إما عليّ أن أقدم لكم علاجاً ناجعاً أو لا. لكني سأعطيكم العلاج. وستقبلون به إذا كنتم تثقون بي، وستجدون الولد بعد عام على ذراع امرأتكم، وإلا فلكم مني ألفي دوقية.

نيتشا

اعلموا أني سأستجيب لكل ما تطلبونه، وأني سأصدقكم أكثر مما أصدق الكاهن الذي أعترف عنده.

كاليماكو

عليكم أن تعرفوا أن لا شيء أكثر فعالية في تسهيل حبل المرأة من جعلها تشرب جرعةً مصنوعة من الماندراغولا. وقد جربت أنا بنفسي هذا الأمر مرتين ووجدته فعالاً. ولولا هذا لبقيت ملكة فرنسا عاقرا وكذلك أميرات كثيرات في تلك البلاد.

نيتشا

وهل هذا ممكن؟

كاليماكو

هو كما أقول. وإنكم محظوظون لأني حملت معي كل ما يجب أن يوضع في تلك الجرعة، وإني تاركها تحت تصرفكم.

نيتشا

ومتى عليها أن تتناولها؟

كاليماكو

هذا المساء بعد العشاء لأن القمر مناسب ولا وقت أحسن من اليوم.

نيتشا

لاتوجد صعوبة في هذا. حضروا كل شيء: وسأحملها أنا على تناولها.

كاليماكو

والآن حان الوقت لأخبركم أن أول رجل يلتقي بها بعد أن تتناول تلك الجرعة سيموت بعد ثمانية أيام ولن يرى العالم ثانيةً.

نيتشا

هراء! إني لا أريد هذه القذارات! إنك لن تلقمني هذا! أنتم تعرفوني حق المعرفة.

كاليماكو

تحلى برباطة الجأش، هناك حل.

نيتشا

وماهو؟

كاليماكو

أن يطارحها رجلٌ آخر تلك الليلة فيقذف على نفسه عدوى جرعة الماندراغولا، بعدها يمكن لكم أن تناموا معها دون أدنى خطر.

نيتشا

لا يمكن أن أفعل هذا.

كاليماكو

لماذا؟

نيتشا

لأني لا أريد أن تكون زوجتي امرأة رجل مخدوع.

كاليماكو

ماذا تقول أيها الدكتور؟ أني لا أرى أنك ذاك الحكيم الذي كنت أعتقد. هل أرى أنكم تشكون فيما صنعه قبلكم ملك فرنسا وسادةٌ كثيرون هناك غيره؟

نيتشا

ومن أين لي أن أجد شخصاً يقبل القيام بذاك الجنون؟ إن أنا أخبرته فإنه لن يقبل، وإن لم أخبره فإني أخونه وإني لا أريد أن ينالني شرٌ وسوء.

كاليماكو

إذا كان هذا كل ما يشغل بالكم فاتركوا لي حرية التصرف.

نيتشا

وماذا أنت فاعل؟

كاليماكو

سأقول لكم: إني سأعطيكم الجرعة هذا المساء بعد العشاء، فتحملونها على تناولها ثم تضعون المرأة على سريرها حتى الساعة الرابعة ليلاً. بعدها نتنكر أنتم وليغوريو وسيرو وأنا ونتجول معاً في مناطق السوق الجديدة والسوق القديمة حتى نجد واحداً من المتسكعين فنكممه ونلكمه على رأسه حتى يغيب عن وعيه فنقوده إلى بيتكم ونضعه في السرير. ولا حاجة بعدها لأن نقول له ماذا عليه أن يفعل. بعدها نعمل على صرف ذلك الرجل قبل أن يشرق الصباح. وبعد أن تغتسل امرأتكم يمكن لكم أن تمكثوا معها على هواكم بدون أدنى خطر.

نيتشا

إني سعيد بما ذكرتم من أن ملوكاً وسادة نبلاء سلكوا هذا المسلك. لكنه لابد من التكتم الشديد، ألاّ يعرفنَّ بهذا كائن من كان، حباً بالله!

كاليماكو

ومن يمكنه أن يتكلم في هذا؟

نيتشا

تبقى هناك صعوبة أخرى.

كاليماكو

ماهي؟

نيتشا

إقناع زوجتي. فأنا لا أعتقد أنها سترضى بهذا أبداً.

كاليماكو

إنكم تقولون الحق. لكني لا يمكن أن أكون زوجاً إن لم أتمكن من حمل امرأتي على فعل ما أريد.

ليغوريو

وجدت حلاً.

نيتشا

ماهو؟

ليغوريو

استعمال كاهن الاعتراف.

كاليماكو

ومن يقنع الكاهن بهذا؟ أنت؟

ليغوريو

أنا، الدراهم، مساوئ نفوسنا، هم.

نيتشا

أشك في أنها قد تقبل سماع مثل هذا الأمر من الكاهن.

ليغوريو

هناك حلٌّ لهذا أيضاً.

كاليماكو

أخبرني.

ليغوريو

أن نحوِّلها على أمها.

نيتشا

هناك ستصغي السمع.

ليغوريو

وأنا أعلم أن أمها هي من رأينا. والآن إلى العمل ولنستبق الوقت قبل أن يحل المساء. اذهب يا كاليماكو ولنجتمع في الحادية عشرة في البيت، ومعك الجرعة جاهزة. أما أنا والدكتور

فسنذهب إلى بيت أمها لنقنعها فأنا أعرفها. ثم نذهب إلى عند الكاهن ونعلمه بالأمر.

كاليماكو

لا تتركني لوحدي رجاء.

ليغوريو

أرى أنك تتحرق.

كاليماكو

أين تريد أن أذهب الآن أنا ؟

ليغوريو

هناك، هنا، من هذه الطريق، أو من تلك، إن فلورنسة مدينة كبيرة واسعة!

كاليماكو

لقد متُّ إذن.

* * *

أغنية
بعد الفصل الثاني

كم هو سعيد من يولد جاهلاً أحمق
لا يهمه طموح
لا يخاف أمراً ولا يخشى.
قولوا باللاتينية لذلك الدكتور
الذي يثير الملل معاً والألم
أن حماراً يطير،
فسيصدق من شدة شوقه للولد
سينسى كل أمرٍ آخر
لأنه لا يريد إلا الولد.

* * *

الفصل الثالث

المنظر الأول

سوستراتا، السيد نيتشا، ليغوريو

سوستراتا

كنت دائماً أسمع أنه على الإنسان الرصين أن يختار بين الشرور أفضلَها، فإذا لم يكن هناك حلٌّ غير هذا يجعلها تُرزق بولد، فلابد من القبول بهذا الحل، إن لم يكن فيه ما يثقل الضمير.

نيتشا

بالفعل.

ليغوريو

عليك الذهاب لعند ابنتك بينما سأذهب أنا مع السيد إلى عند الأخ تيموتيو وهو الراهب الذي تعترف عنده، لنخبره بالحالة. وهكذا فلن يكون عليك إخباره أنت: ولتنتظري بعدها ماذا سيقول لك؟

سوستراتا

هذا ما سيكون. تلك هي طريقكما، بينما سأذهب للقاء لوكريتسيا وسأحملها على الإنصات للراهب.

*   *   *

الفصل الثالث

المنظر الثاني

السيد نيتشا، ليغوريو

نيتشا

لربما تعجبت ياليغوريو من أني قد ألجأ إلى حيلٍ كثيرة كي أقنع زوجتي، لكنك إن عرفت كلَّ الأمر، فإنك لن تعجب.

ليغوريو

أتوقع ذلك، فلشدُّ مايرتاب النساء.

نيتشا

ليس هذا. فهي كانت من ألطف الناس وأسهلهم قياداً، لكنه حدث أن إحدى جاراتها أخبرتها أنها ستحمل إن هي نذرت بأن تحضر لأربعين صباح صلاةَ الفجر الأولى في الكنيسة. وقد نذرت هذا بالفعل وداومت على هذا عشرين صباحاً فقط. عليك أن تعرف أنه حدث بعدها أن راهباً أحمق بدأ يحوم حولها، فعزمت على ألا تعود

أبدا. إنه لمن المؤسف أن يكون على هذه الشاكلة أولئك الذين يجب أن يكونوا مثالاً لنا يحتذى. ألا أقول صوابا؟

ليغوريو

كل الصواب.

نيتشا

أصبحت حذرة من حينها وبدأت تصيخ بأذنيها وتحركهما كما يفعل الأرانب، وما إن يقال لها أي شيء حتى ترتاب وتضع ألفَ عقبة.

ليغوريو

الحق أني لا أعجب الآن من أمرها. لكن كيف وفت بعدها بذلك النذر؟

نيتشا

عملت على التحلل منه.

ليغوريو

حسناً. لكن، أعطني إن كان معك، خمسة وعشرين دوقية. في مثل هذه الأحوال علينا أن ندفع لنتقرب إلى الأخ الراهب، ولنرغبه بأن يطمع بأفضل من هذا.

نيتشا

خذها فهذه ليست مشكلة، فلا ينبغي التوفير في مثل هذه الأمور.

ليغوريو

هؤلاء الإخوة الرهبان ماكرون خبثاء، وهذا طبيعي لأنهم يعرفون خطايانا كلها فضلا عن خطاياهم. ومن المنطقي أن يخدعوا من لا يعرفهم حق المعرفة فلا يتمكن أن يصل إلى هدفه. لذلك فإني لا أريد أن تكلموه أنتم فتفسدوا كل الأمر، لأن أشباهكم يقضي النهار كله في مكتبه يفهم فيما الكتب من كتابة، لكنه لا يعرف كيف يحاكم أمور الدنيا. «إنه أحمق بالفعل وأخشى أن يفسد الأمر كله»(١).

نيتشا

أخبرني ماذا علي أن أفعل.

ليغوريو

أن تتركوني أتصرف وألا تتكلموا أبداً حتى تروا مني مثل هذه الإيماءة.

نيتشا

وأنا سعيد بهذا. بأي إيماءة ستشيرون؟

---

(١) من الواضح أن هذه العبارة موجهة إلى الجمهور وبهذا فإن ليغوريو يحاكم الأمور التي يشارك فيها من الداخل ولا يقوم بدور شخصيته فقط أو بدور المخرج فقط بل يقوم أيضاً بدور المعلق الساخر على الأحداث.

ليغوريو

سأغلق عيني بينما أعض على شفتي...لا، لا.. العكس.. منذ كم من الوقت لم تكلموا ذاك الأخ الكاهن؟

نيتشا

منذ أكثر من عشر سنوات.

ليغوريو

رائع، سأقول له أنكم أُصبْتم بالصمم وهكذا فعليكم ألا تتكلموا وألا تجيبوا.

نيتشا

هذا ماسأفعله.

ليغوريو

يجب ألا تتضايقوا إن أنا قلت أمراً قد يبدو غير موافق لما نريد فعله، فكل قول سيكون في مصلحة عملنا.

نيتشا

حسناً.

ليغوريو

لكني أرى الكاهن يتحدث مع امرأة. فلننتظر حتى يصرفها.

*   *   *

الفصل الثالث

المنظر الثالث

الأخ تيموتيو، امرأة.

تيموتيو

إذا أردت أن تعترفي فإني سأنفذ كل ما تريدين.

المرأة

ليس اليوم. إنهم ينتظروني. يكفيني أني نفّثت قليلاً عما في صدري وأنا واقفة. هل تلوتم تلك الصلوات الخاصة بـــ «سيدتنا».

تيموتيو

نعم يا سيدة.

المرأة

خذوا الآن هذا الفيورينو واتلوا كل يوم اثنين ولمدة شهرين صلاةَ الأموات على روح زوجي. مع أنه كان رجلاً غثاً فإن الجسد يحنّ ولا أستطيع إلا أن أتأثر عندما أتذكره. هل تظن أنه الآن في برزخ المطهر؟

تيموتيو

لاشك في ذلك.

المرأة

لست واثقة من هذا. إنكم تعلمون ولاشك ماذا كان يصنع بي بعض الأحيان. آه كم تألمت منه! كنت أبتعد عنه قدر المستطاع، لكنه كان كثير الإلحاح! آه يا رب!

توموتيو

لا تخشِ شيئاً، فرحمة الله واسعة، والإنسان الذي لا يفتقر إلى الرغبة، فلن ينقصه الوقت ليندم على ذنوبه.

المرأة

هل تعتقد أن الأتراك سيمرون هذه السنة في ايطاليا؟

توموتيو

سيفعلون إن لم تؤدي صلواتك.

المرأة

أوف. ليساعدنا الله. لشد ما أخشى تلك الشيطَنَات؟ لكني أرى هنا في الكنيسة امرأةً أخرى ربما كانت على عجلة من أمرها أكثر مني. سأعود لأزورك. طاب يومك.

توموتيو

اذهبي بسلام.

*   *   *

الفصل الثالث

المنظر الرابع

الأخ تيموتيو، ليغوريو، السيد نيتشا .

تيموتيو

إن أكثر الناس حباً بأفعال الخير هن النساء، لكنهن الأشد إزعاجا. من يعمل على إبعادهن فإنه يخسر الإزعاج والربح، ومن يقربهن يكسب الربح والإزعاج معاً. والحق أنه لا تفاح بدون ذباب. ماذا تفعلون هنا أيها الطيبون؟ هل أرى السيد نيتشا؟

ليغوريو

ارفع صوتك. لأنه أصيب بالطرش، وهو يكاد أن لا يسمع شيئاً.

تيموتيو

أهلاً بكم وسهلاً أيها السيد.

ليغوريو

أعلى!

تيموتيو

أهلاً وسهلاً!

نيتشا

أهلاً بكم أبانا!

تيموتيو

ماذا تفعلون؟

نيتشا

كل شيء على ما يرام.

ليغوريو

وجهوا الكلام لي أيها الأب لأنه إذا أردت أن يفهم ما تقوله له فإن الساحة كلها ستضج بصوتك.

تيموتيو

ماذا تريدون مني؟

ليغوريو

هذا هنا السيد نيتشا وهناك رجل آخر طيب ستعرفونه فيما بعد يريدان توزيع صدقاتٍ بعدّةِ مئاتِ الدوقيات.

نيتشا

العمى!

ليغوريو

(اصمت ياخرابي ولاتثرثر كثيراً)، لا تعجب أيها الأب لما يقول فهو لايسمع لكنه يتخيل انه سمع فيجيب في موضوع مختلف.

تيموتيو

تابعوا كلامكم واتركوه يتكلم ما يريد.

ليغوريو

معي الآن بعض تلك النقود، وقد اختاروكم كي تشرفوا على توزيعها.

تيموتيو

بكل سرور.

ليغوريو

لكنه لابد قبل دفع هذه الصدقة من أن تساعدونا في أمر غريب طرأ على السيد ولا يمكن لغيركم أن يساعد في أمر يتعلق بشرف بيته.

تيموتيو

ما الأمر؟

ليغوريو

لا أدري إن كنتم تعرفون كاميللو كالفوتشي قريب السيد.

تيموتيو

نعم، أعرفه.

ليغوريو

قبل سنة سافر هذا في أمرٍ له إلى فرنسا. كانت زوجته قد ماتت وكان بلا زوجة، فأودع ابنةً له في عمر الزواج في ديرٍ لن أذكر الآن اسمَه.

تيموتيو

وماذا بعد؟

ليغوريو

ربما كانت الراهبات في ذلك الدير حريصات شديدات، وربما كانت البنت متزحلقة متهورة، والنتيجة أنه عُثِرَ عليها حاملاً في الشهر الرابع، فإن لم نتصرف بحكمة فإن الهوان سيلحق بكلٍّ من الدكتور والراهبات والبنت وكاميللو بل وبعائلة كالفوتشي كلها. وقد خشي الدكتور أشد خشية هذه الإهانة، فنذر بأن يتصدق بثلاثمائة دوقية في سبيل الله حالما ينجلي الأمر.

نيتشا

ثرثرات.

ليغوريو

(الزموا الصمت!) وسيضعها بين يديك، فأنت ومديرة الدير وحدكما القادرين على معالجة الأمر.

تيموتيو

كيف؟

ليغوريو

أن تقنعوا مديرة الدير بأن تعطي البنت جرعةً تساعدها على الإجهاض.

تيموتيو

هذا أمر يجب التفكير فيه.

ليغوريو

ألاترون كم من أوجهِ الخير تصنعون إذا تم هذا الأمر: إنكم تحفظون شرف الدير، والبنت، والأقرباء، وتعيدون للأب ابنته، وتدخلون السرور على قلب هذا السيد وكثير من أقربائه، وتقدمون صدقات كثيرة بقدر تلك الثلاثمائة دوقية. من جهة أخرى أنتم لا تسيئون إلا لمضغة لحم لم تولد ولا خلاق لها ويمكن التخلص منها بألف طريقة. وأعتقد أنه من الجيد أن تفعلوا خيراً يُسِّرُ الكثيرين.

تيموتيو

فليكن باسم الله. سأفعل ماتريدون، فلله والخير كل شيء يهون. أخبرني اسم الدير، أعطني تلك الجرعة، وإذا رأيت ذلك مناسباً فأعطني تلك النقود أيضاً لأبدأ بفعل بعض الحسنات.

ليغوريو

الآن ظهر ذلك الرجل الديِّن الذي كنت أظنه. خذوا هذا الجزء من الدراهم. أما الدير فهو..... لكن انتظروا، يبدو أن هناك في الكنيسة امرأة تومئ إلي: سأعود في الحال، لا تتركوا السيد نيتشا، سأعود لأقول كلمتين.

*   *   *

الفصل الثالث

المنظر الخامس

الأخ تيموتيو، السيد نيتشا .

تيموتيو

ماعمر تلك البنت؟

نيتشا

ياللدهشة!

تيموتيو

سألت عن عمر تلك البنت.

نيتشا

ليلعنه الله.

تيموتيو

لماذا؟

نيتشا

لكي تحل عليه اللعنة.

تيموتيو

يبدو لي أني عالق بين مجنون وأصم، الأول يتملص مني والثاني لا يسمعني. لكني سأتجاوزهما وأبلي بأحسن مما يبليان. هاهو ليغوريو يعود إلي.

* * *

الفصل الثالث

المنظر السادس

ليغوريو، *الأخ تيموتيو، السيد نيتشا .*

ليغوريو

الزم الهدوء ياسيد. أوه! هل سمعت آخر المستجدات أيها الأب.

تيموتيو

ما الأمر؟

ليغوريو

لقد أجهضت الفتاة من تلقاء نفسها.

تيموتيو

حسناً، سنوزع تلك الصدقة في وجوه الخير.

ليغوريو

ماذا تقولون؟

تيموتيو

أقول إن ما حدث يشكل سبباً جديداً لكي توزعوا تلك الصدقات.

ليغوريو

ستوزع الصدقات عندما تريدون: لكنه لابد من أن تصنعوا صنيعاً آخر من أجل الدكتور.

تيموتيو

ماهو؟

ليغوريو

إنه أمر أقل شأناً واقل إثارة للفضيحة، أحسن قبولاً لدينا وأكثر فائدة لكم.

تيموتيو

ماهو؟ إني على عهدي معكم، وقد أصبح أمراً مألوفاً أن لاشيء يصعب علي فعله.

ليغوريو

سأخبرك داخل الكنيسة، بيني وبينك، وسيكون الدكتور مسروراً بأن ينتظرنا هنا. سنعود حالاً.

نيتشا

(لوحده) ذهاباً دون رجعة.

تيموتيو

هيا بنا.

* * *

الفصل الثالث

المنظر السابع

السيد نيتشا لوحده.

نيتشا

هل هو نهار أو ليل؟ هل أنا يقظان أو أني أحلم؟ هل أنا سكران مع أني لم اشرب اليوم شيئاً حتى أسمع مثل هذه الترهات؟ نحن سنبقى لنقول للأخ الراهب أمراً ثم يقول أمراً آخر، ثم إنه أراد أن أُمَثِّل دور الأصم وأن أدهن أذني بالقار كي لا أسمع الحماقات التي قالها ولا يعلم إلا الله لأي غرض وبأي هدف! أجد نفسي الآن وقد خسرت خمسة وعشرين دوقية بينما لم يتم التطرق إلى قضيتي. وهاهما قد نصّباني هنا مثل كعكة على عصا. لكن هاهما يعودان وعليهما اللعنة إن لم يعالجا أمري.

*   *   *

الفصل الثالث

المنظر الثامن

الأخ تيموتيو، ليغوريو، السيد نيتشا.

تيموتيو

فلتدخل النساء. إني اعرف ما علي أن أفعله، إذا كانت لي سلطة نافذة فإننا سنعقد الليلة هذا الاتفاق.

ليغوريو

أيها السيد نيتشا إن الأخ تيموتيو على استعداد لإتمام كل الأمر. فاعملوا على أن تدخل النساء.

نيتشا

لقد جعلتني أولد من جديد. فهل ستحمل امرأتي بصبي؟

ليغوريو

صبي.

نيتشا

لقد انفعلت حتى أن عينيّ تغرورقان بالدموع.

تيموتيو

اذهبوا أنتم إلى الكنيسة بينما أنتظر أنا النسوة هنا. وابقوا جانباً حتى لا يرينكم. عندما يذهبن سأخبركم بأقوالهن.

* * *

الفصل الثالث

المنظر التاسع

الأخ تيموتيولوحده.

تيموتيو

لا أدري بعدُ مَن مِنّا يخدع الآخر. لقد جاءني ليغوريو الوغد بقصته الأولى ليغريني، فإن لم اقبل بها فإنه لن يخبرني بقصته الثانية هذه، وبهذا فهو لا يفصح عن خططه كلها دون أن يعود عليه الأمر بنفع. وهما لم يكترثا بالقصة الزائفة على الإطلاق. الحقيقة أني خُدِعت لكنها خديعة تعود علي بالنفع. فالسيد نيتشا وكاليماكو غنيّان وبوسعي أن استفيد منهما كليهما بطرق مختلفة. ومن المفيد أن تبقى القصة في السر وهذا مفيد لهما ولي أيضاً. فليكن ما سيكون ، فلست بالندمان. لكن الحقيقة أن الأمور لم تكن سهلة جداً لأن السيدة لوكريتسا هي امرأة عاقلة وحكيمة، لكني سآتيها من هذا الباب بالذات. والحقيقة أن لكل النساء عقول صغير، وما إن تظهر امرأة قادرة على حبك كلمتين في جملةٍ

مفيدة حتى يحسبونها خطيبةً مفوهة، فالأعور بين العميان دائماً بصير. هاهي قادمة مع أمها، تلك الخبيثة المحنكة، لكنها ستساعدني كل المساعدة في قيادة ابنتها حسب رغبتي.

*   *   *

الفصل الثالث

المنظر العاشر

سوستراتا، لوكريتسيا

سوستراتا

أعتقد أنك تعتقدين يا ابنتي بأنيّ أحترم شرفك وخيرك أكثر من أي شيء في العالم، وبأني لا يمكن أن أنصحك بأمر لا يليق. لقد قلت لك وأكرر قولي بأنه إذا كان الأخ تيموتيو قد أكد لك أنه إذا كان الأمر لا يثقل الضمير فلابد من تنفيذه دون تفكير.

لوكريتسيا

كنت دائما أشك في أن رغبه السيد نيتشا في أن يكون له أولاد قد تجعلنا نقع في خطأ ما. لهذا فإنه ما إن كان يكلمني بأمر حتى كنت أرفضه بشك كبير وبسبب غيرتي، هذا حتى وقع ما وقع مما تعرفينه في الكنيسة. لكن أغربَ أمرِ جربه زوجي هو هذا الذي يطرحه الآن. فكيف أسخّر جسدي لهذا الرجس ثم أكون سبباً في موت رجل يدنس جسدي! إني لا أظن أنه من المسموح

لي أن اصنع هذا الصنيع حتى لو لم يبق غيري في العالم كله لأبعث الطبيعة الإنسانية من جديد.

سوستراتا

لا يسعني أن أقول لك الكثير يا ابنتي. كلمي الأخ الراهب وسترين ما سيقول واعملي بعدها بما ينصحك به هو ونحن وكل من يحبك.

لوكريتسيا

أني أتعرق انفعالاً.

* * *

الفصل الثالث

المنظر الحادي عشر

الأخ تيموتيو، سوستراتا، لوكريتسيا

تيموتيو

أهلاُ وسهلاً بكنَّ! أعرف ماذا تريدون أن تعرفوا مني، فقد حدثني بهذا السيد نيتشا. والحقيقة أني جلست على الكتب أكثر من ساعتين لدراسة هذه الحالة. بعد فحوص كثيرة وجدت أشياء كثيرة تتعلق بصورة عامة وبصورة خاصة بما نحن فيه.

لوكريتسيا

هل تتكلمون بالحقيقة أم أنكم تمثلون؟

تيموتيو

آه أيتها السيدة لوكريتسيا. وهل هذه أمور يجدر التمثيل فيها؟ ألا تعرفين من قبل من أنا، أم أنك تتعرفين علي لتوّك الآن؟

لوكريتسيا

لا أيها الأب. لكن هذا يبدو أغرب أمر يمكن أن أسمعه.

تيموتيو

إني اصدقك يا سيدتي، لكني لا أريد أن تتفوهوا بهذا مرة أخرى. إن هناك أموراً كثيرة تبدو عن بعد كأنها فظيعة، غريبة، لا يمكن تحملها، لكن ما إن نقترب منها حتى نجدها إنسانيةً وهيّنة ومعتادة. وقد قيل قديماً إن الخوف من الشرور هو أشد وطأة على المرء من الشرور نفسها. وهذا ما ينطبق على حالنا اليوم.

لوكريتسيا

لا يعلم هذا إلا الله!

تيموتيو

بالعودة إلى حديثنا أقول إن النظر في مسالة وطأة الضمير يجعلنا نتمسك بمقولة تؤكد أنه بين خير مؤكد وشرّ غير مؤكد علينا أن لا نترك ذاك الخير حذراً من ذاك الشرِّ. إننا في هذه الحال نجد أنفسنا أمام خير مؤكد مفاده أنك ستحملين وتلدين ولداً بروح جديدة من عند الربّ إلهنا. أما الشر غير المؤكد فهو أن ذاك الشخص الذي سينام معك بعد تناول الجرعة سيموت: وهذا ليس أمراً محتماً لأن هناك آخرين لا يتأثرون بأضرار الجرعة ولا يموتون. حسناً، بما أن هذا الشر الآن غير مؤكد ، فلابأس من ألا يجازف السيد نيتشا في هذه المحاولة. أما عن هذا العمل والقول بأنه خطيئة فهذه مجرد مهزلة: لأن إرادة الإنسان هي

التي تخطئ وليس جسده، كما أن الخطيئة تسيء عادة إلى الزوج بينما يُدخل هذا العمل السرورَ على قلبه، والإنسان يرتكب الخطيئة لينال الملذات بينما لا تشعرين أنت إلا بالأسى. فضلاً عن هذا كله فلابد من النظر إلى الأشياء في نهاياتها وغاياتها، وأنتم لا تريدون إلا ملء كرسي فارغ في جنة النعيم وإرضاء الزوج. تقول التوراة إن بنات لوط ظنن أنهن بقين وحيدات في العالم فتجرأن على مضاجعة الأب وبما أن النية كانت سليمة فهن لم يخطئن.

لوكريتسيا

بماذا تريدون أن تقنعوني؟

سوستراتا

اقتنعي يا بُنيتي. ألا ترين أن امرأة بلا ولد هي بلا بيت؟ ما إن يموت الزوج حتى تبقى مثل حيوان لا أحد يؤويه.

تيموتيو

أقسم لكم يا سيدتي بهذا الصدر المقدس أن خطيئة إطاعة زوجك في هذا الأمر ليست أشد من خطيئة تناول اللحم يوم الأربعاء التي يمكن غسلها بماء مقدس يمحوها.

لوكريتسيا

إلامَ تقودوني أيها الأب؟

تيموتيو

إلى أمور ستكون سبباً في أنكم ستدعون لي الله، وفي مزيد من سروركم بعد عام من الآن.

سوستراتا

إنها ستفعل الذي تريدون. سأؤويها أنا الليلة إلى سريرها. ما الذي تخشينه يا حبيبتي؟ هناك خمسون امرأة في هذا البلد سيرفعن أيديهن شكراً لله لمثل هذا.

لوكريتسيا

إني مسرورة، لكني لا اعتقد أني سأبقى حية لأشهد صباحَ الغد.

تيموتيو

لا تشكِّي يا بنيتي: إني سأصلي لله من أجلك وسأتلو صلوات الملاك رافائيل كي يبقى رفيقك. اذهبن مع السلامة وتهيئن لهذه المهمة، فقد حان المساء.

سوستراتا

ابقَ في سلام أيها الأب.

لوكريتسيا

ليساعدني الله وسيدتنا ويحفظاني من كل شر.

* * *

أغنية بعد الفصل الثالث

ما أحلى الخديعة
عندما تتم على النحو المنشود.
تتحدى البصيرة النافذة
وتُحلي مُرَّ المذاق.
هي هديٌ عُلويٌ فريد،
يُستدل بها على طريق السعادة الحقيقية.
بقيمها الرفيعة،
يتبارك الآخرون وينعمون بالحب السامي.
بهديها المقدس تتغلب
على جلاميد الصخر والسموم وعلى كلّ سحر.

*   *   *

الفصل الرابع

المنظر الأول

غاليماكو لوحده.

كاليماكو

أريد بالفعل أن أفهم ما الذي صنعه هؤلاء. فلماذا لم أر ليغوريو حتى الآن؟ لقد تأخر وقد أصبحت الساعة الرابعة والعشرين بدل الثالثة والعشرين. عشت الزمن بقلق ومازلت في أرق. حقاً إن الطبيعة والحظ يحافظان على حسابنا معهما في توازن مستمر، حتى إن المرء لا يناله خير من طرف حتى يظهر في وجهه شر من الطرف الآخر، وكلما زاد رجائي تنامت مخاوفي. يا لشقائي! هل يقيد لي أن أبقى هكذا في ظل متاعب متواصلة، تعذبني المخاوف ويدغدغني الرجاء؟ إني لست إلا سفينة تتنازعها رياح متناحرة قد يتحقق أشد ما تخشاه عندما تقترب من الميناء. إن سذاجة السيد نيتشا تزيد من آمالي، لكن

صلابة لوكريتسيا وتحفّظها يخيفاني. إني لا أجد راحة للأسف في أي مكان. أحاول مرة أن أنتصر على نفسي وأن أخرج من هذا الفوران وأنا أقول في نفسي: «ماذا أنت صانع؟ هل جننت؟ وماذا ستفعل بعد أن تحقق هدفك؟ فهل ستعترف بخطأ اقترفته؟ وهل ستندم على كل جهد بذلته وكل فكر عملته؟ ألا تعلم كم هو قليلٌ الخير الذي يجده الإنسان في الأمور التي يرجوها قياساً بما كان يتوقعه؟ من جهة أخرى فإن أشد ما قد يصيبك هو أن تموت فتلقى في الجحيم، لكن الكثيرين ماتوا وهناك في الجحيم كثيرون طيبون منهم! فهل تخجل من أن تذهب أنت أيضاً؟ وجّه وجهك نحو قدرك، اهرب من الشر، وان لم تتمكن من الهروب فتحمله كما يفعل الرجال ولا تركع ولاتكن جباناً كالنساء. الحق أن هذا ما فعلته لكني لا أبقى على هذا لمدة طويلة لأن رغبتي عارمة بوصالها، اشعر بهذا من أخمص قدمي حتى قمة رأسي حتى أن ركبتي ترتجفان وأحشائي تنفعل وقلبي يقفز من صدري وعينيّ تنبهران وذراعيّ تسقطان ومخي يدور. ليتني أجد ليغوريو فأنفث عما في نفسي. لكن هاهو حقاً يتقدم نحوي. إن ماسيقوله لي سيجعلني أعيش سعيداً لفترة ما أو أن أموت لتوّي».

* * *

الفصل الرابع

المنظر الثاني

ليغوريو

لشد ما أرغب بلقاء كاليماكو، ولم أتعذب تطلعاً للقائه كما أتعذب الآن. لو كانت الأخبار التي احملها إليه سيئة لفررت بعيداً عنه. لقد بحثت عنه عبثاً في بيته، في الساحة، في السوق، في مقاعد آل سبيتي، في رواق آل تورناكوينشي. لابد أن هؤلاء العشاق يضعون الزئبق تحت أقدامهم فلا يستطيعون وقوفاً.

كاليماكو

لا أعرف، ما الذي يمنعني من مناداته؟ بل إنه يبدو مسروراً: ليغوريو، ليغوريو!

ليغوريو

أوه، وأين كنت يا كاليماكو؟

كاليماكو

وما الأخبار؟

ليغوريو

جيدة.

كاليماكو

أهي جيدة حقاً؟

ليغوريو

بل رائعة.

كاليماكو

وهل لوكريتسيا مسرورة؟

ليغوريو

نعم.

كاليماكو

هل صنع الأخ الراهب ما هو مطلوب؟

ليغوريو

صنع.

كاليماكو

يا للراهب المبارك. سأصلي دائماً من أجله.

ليغوريو

هذه حلوة! هل تظن أن الله يبارك الشر مثل الخير؟ إن الراهب يريد أموراً أخرى غير صلواتك.

كاليماكو

ماذا يريد؟

ليغوريو

دراهم.

كاليماكو

أعطه. بكم وعدته؟

ليغوريو

ثلاثمائة دوقية.

كاليماكو

نِعمَ ما فعلت.

ليغوريو

دفع الدكتور منها خمسة وعشرين.

كاليماكو

كيف؟

ليغوريو

يكفيك أنه دفعها.

كاليماكو

وماذا فعلت أم لوكريتسيا؟

ليغوريو

كل شيء تقريباً. ما إن عرفت أن ابنتها ستقضي ليلة بدون إثم حتى لم توفر صلاة ولا دعاء ولا أمراً ولا مواساة إلا فعلته من أجل لوكريتسيا وقادتها إلى الراهب حيث اجتهدا في إقناعها حتى قبلت.

كاليماكو

أه، يا إلهي! بأي حسنةٍ استحقيتُ كل هذا العطاء؟ إني أموت من الفرح.

ليغوريو

ما هؤلاء الناس؟ مرة من الفرح، وأخرى من الألم. إنه يريد أن يموت مهما كان الثمن. هل الجرعة جاهزة؟

كاليماكو

نعم.

ليغوريو

ماذا سترسل له؟

كاليماكو

كأس شرابٍ يحسِّن المعدة ويُبهج الدماغ. أواه، أواه، أواه.. اقد انتهى أمري!

ليغوريو

ماذا حدث؟ ما الأمر؟

كاليماكو

وليس هناك من علاج.

ليغوريو

أي شيطان دهاك؟

كاليماكو

لا ضير على الإطلاق. لكني أوقعت نفسي في مأزق خطير.

ليغوريو

ما الأمر؟ لماذا لا تخبرني؟ انزع يديك عن وجهك.

كاليماكو

أتعلم أني قلت للسيد نيتشا أنك أنت وهو و سيرو وأنا سنقبض على أحدهم ونضعه على سرير الزوجة؟

ليغوريو

وما الضير في ذلك؟

كاليماكو

كيف؟ إذا كنت معكم فكيف أكون ذاك الذي يُقبض عليه؟ وإذا لم أكن معكم فسيشتم الخديعة.

ليغوريو

إنك تقول الحق. أوليس هناك من حل؟

كاليماكو

لا أعتقد.

غوريو

وجدت حلاً

كاليماكو

ما هو؟

ليغوريو

دعني أفكر فيه.

كاليماكو

عظيم! يا لحظي العاثر إذا كنت ستفكر الآن في الأمر.

ليغوريو

وجدته.

كاليماكو

ما هو؟

ليغوريو

سأحمل الراهب الذي طالما ساعدنا أن يصنع الباقي.

كاليماكو

كيف؟

ليغوريو

سنتنكر جميعنا. وسأجعل الراهب يتنكر أيضاً بل وأن يغير صوته ووجهه وملابسه وسأقول للدكتور أنه أنت وسيصدق هذا.

كاليماكو

هذا يعجبني. وأنا ماذا أفعل؟

ليغوريو

سأجعلك ترتدي معطفاً وتحمل عوداً في يدك وتأتي إلينا من ناحية بيته وأنت تصدح بأغنية.

كاليماكو

بوجه مكشوف؟

ليغوريو

نعم، لأن الشك سيعتريه إذا رأى قناعاً على وجهك.

كاليماكو

لكنه سيعرفني.

ليغوريو

لن يعرفك، فأنا أريد منك أن تلوي وجهك وتفتح أو تزمّ أو تصرّ فمك، وأن تغلق إحدى عينيك. جرب هذا.

كاليماكو

أهكذا أفعل؟

ليغوريو

لا يكفي.

كاليماكو

هكذا إذن؟

ليغوريو

بلى، بلى. تذكر هذا. عندي في البيت أنف للتنكر، عليك أن تضعه أيضاً.

كاليماكو

حسناً، وبعدها؟

ليغوريو

ما إن تظهر لنا وراء الزاوية ونحن هنا حتى ننزع منك العود ونأخذك ونقودك إلى البيت ونضعك على السرير. ثم عليك أن تفعل البقية لوحدك.

كاليماكو

ارشدني لذلك.

ليغوريو

أظن أنه يمكن إرشادك حتى تلك النقطة. لكنه شغلك بعدها وليس شغلي أن تتدبر أمرك لوحدك إذا أردت أن تعود ثانية.

كاليماكو

كيف؟

ليغوريو

أن تستميلها هذه الليلة، وألا تغادرها قبل أن تكشف لها كل الأمر وتفصح لها عن عمق مشاعرك وعن الحب الذي تكنه لها، ثم بيّن لها كيف يمكنها أن تصبح صديقة لك دون فضيحة، بينما يمكن أن تنفجر الفضيحة إذا أصبحت عدوة لك. لا أستطيع أن أتخيل أن بوسعها ألا تتفق معك هذه الليلة أو أنها قد تفضل أن تكون هذه الليلة ليلة يتيمة.

كاليماكو

هل تعتقد ذلك؟

ليغوريو

أنا متأكد. كفانا الآن إضاعة وقت، أضعنا ساعتين. نادِ سيرو وأرسل الجرعة إلى السيد نيتشا ثم انتظرني في البيت. سأذهب لعند الأخ الراهب واجعله يتنكر ثم أحضره إلى هنا ثم نجد الدكتور ونفعل بقية الأمر،

كاليماكو

هذا رائع! هيا انطلق.

* * *

الفصل الرابع

المنظر الثالث

كاليماكو، سيرو

كاليماكو

يا سيرو!

سيرو

سيدي!

كاليماكو

تعال إلى هنا.

سيرو

ها أنذا.

كاليماكو

هاتِ ذاك الكوب الفضي الموضوع في خزانة غرفتي وغطه بقطعة قماش، لكن حذار أن تريق على الأرض ما فيه.

سيرو

سأفعل.

كاليماكو

عشر سنوات تصرّمت على هذا وهو يخدمني بإخلاص، وأظن أنه سيفعل هذا الآن. إني لم أخبره بحيلتي، لكنه استشف الأمر ولابد، فهو حقاً داهية ماكر.

سيرو

هاك الكوب.

كاليماكو

حسناً، اذهب إلى بيت السيد نيتشا وقل له إن هذا هو الدواء الذي يجب أن تأخذه المرأة بعد العشاء مباشرة، وأنه من الأفضل أن يكون العشاء مبكراً. وأخبره أننا سننتظر في الزاوية وعليه أن يأتي في الموعد المحدد. هيا أسرع.

سيرو

إني ذاهب.

كاليماكو

اسمع. إذا أراد أن تنتظره فافعل وتعال لعندي معه، أما إذا لم يطلب منك الانتظار فعُد أنت حالما تعطيه الدواء وتبلغه الرسالة.

سيرو

أمرك سيدي.

* * *

الفصل الرابع

المنظر الرابع

كاليماكو لوحده

كاليماكو

إني أنتظر عودة ليغوريو بصحبة الأخ الراهب، وقد أصاب من قال إن الانتظار صعبٌ مُرّ. إن وزني ينقص عشر أوقيات كل ساعة وأنا أنتظر وأفكر أين أنا الآن وأين سأكون بعد الساعتين القادمتين، لكني أخشى طارئاً يحدث فيفسد خطتي. إنْ حدَثَ هذا فستكون هذه آخر ليلة في حياتي لأني إما أن ألقي بنفسي في نهر الأرنو أو أن أشنق نفسي أو أن أقفز من تلك النافذة أو أن أطعن نفسي بسكّين على بابها. سأفعل واحدةً من هذه الأمور حتى لا أرى الحياة بعدها. لكن هل هو ليغوريو الذي أرى؟ بلى إنه هو ومعه شخص يترنح ويعرج، لابد انه الأخ الراهب. يا للرهبان! واحدهم أسوأ من الآخر. ومَن ذاك الذي يلحق بهم؟ يبدو أنه سيرو بعد أن بلّغَ الرسالة للدكتور. إنه هو. سأنتظرهم هنا لننفذ بقية الخطة.

*   *   *

الفصل الرابع

المنظر الخامس

سيرو، *كاليماكو، الراهب تيموتيو*

سيرو

من بصحبتك يا ليغوريو؟

ليغوريو

رجل طيب.

سيرو

هل هو أعرج أم يتصنع العرج؟

ليغوريو

اهتم بأمور أخرى.

سيرو

إن له وجه شرير كبير!

ليغوريو

الزم الصمت فإنك تفسد الأمور! أين كاليماكو؟

كاليماكو

إني هنا، أهلاً وسهلاً بكم!

ليغوريو

حذِّر ياكاليماكو ذاك المجنون سيرو فقد تفوّه بألف حماقة.

كاليماكو

تعال هنا يا سيرو. عليك هذه الليلة أن تفعل كل ما يخبرك به ليغوريو واعلم أنه عندما يأمرك فإني أنا الذي يكلمك، وأن عليك أن تبقي في السر كل ما تراه وتسمعه وكل ما تحس به وذلك بقدر ما تحترم أموري وشرفي وحياتي وخير أمرك.

سيرو

هذا ما سيكون.

كاليماكو

هل أعطيت الكوب للدكتور؟

سيرو

نعم يا سيدي.

كاليماكو

ماذا قال؟

سيرو

أنه سيفعل كل المطلوب.

تيموتيو

هل هذا هو كاليماكو؟

كاليماكو

إني تحت أمرك. وهاأنذا أبين شروط التعاون فيما بيننا، فأنا أضع نفسي وكل ما هو في يدي تحت تصرفكم.

تيموتيو

هذا ما فهمته وإني أعتبر كلامك عهداً كما أني بدأت بصنع أمورٍ لا أصنعها لإنسانٍ غيرك أبداً.

كاليماكو

ولن تضيع جهودكم سدى.

تيموتيو

يكفيني الودَّ الذي تبدونه.

ليغوريو

لندع المجاملات جانباً. ولنذهب أنا وسيرو لنتتكر. تعال يا كاليماكو معنا لتتمكن من القيام بدورك. سينتطرنا الراهب هنا وسنعود حالاً لنذهب ونأخذ السيد نيتشا.

كاليماكو

نعمَ ماتقول، هيا بنا.

تيموتيو

إني بانتظاركم.

*   *   *

الفصل الرابع

المنظر السادس

الراهب تيموتيو متنكراً

تيموتيو

قال حقاً من قال إنَّ صحبةَ الأشرارِ تقودُ إلى المشنقة. كما أن الرجل يقعُ في الشرِّ وهو ليس شريراً، بل لأنه شديد الطيبة وسهل القياد. ويعلم الله أني لم أحاول الإساءة لإنسان بل كنت دائماً في الدير أتلو صلواتي وأقوم بفرائضي حين جاءني هذا الشيطان ليغوريو فجعلني أغمس إصبعي في أمرٍ خاطئ ثم اتبعتُ إصبعي بذراعي بل بكلِّ شخصي، ولا أعرف ما الذي سيحدث لي بعد هذا. لكني أسلّي قلبي بالظن أن الأمر الذي يهمُّ كثيرين يجب أن يعالجه كثيرون. هاهو الآن ليغوريو وذاك الخادم يعودان.

* * *

الفصل الرابع

المنظر السابع

الراهب تيموتيو ، ليغوريو، سيرو متنكرين

تيموتيو

مرحباً بكم.

ليغوريو

هل الأمور بخير؟

تيموتيو

بألف خير.

ليغوريو

بقي الدكتور. لنذهب باتجاه بيته: لقد تأخر الوقت جداً، ماهذا؟

سيرو

من فتح باب بيته؟ هل هو الخادم؟

ليغوريو

لا، إنه هو. هه، هه، هه!

سيرو

أوَ تضحك؟

ليغوريو

ومن لا يضحك من مرأى هذا الرجل؟ لقد ارتدى معطفاً لا يغطي قفاه. ثم ما ذاك الذي اعتمره؟ إنه يبدو في صورة كائنٍ بين البوم والقرد. ثم انظر ذاك الخنجر المدندل! هاهو قادم وهو يدمدم متذمراً. لنتنحى جانباً حتى نسمع عن آخر مشاكله مع زوجته.

* * *

الفصل الرابع

المنظر الثامن

السيد نيتشا متنكراً

نيتشا

ما أكثر نزوات مجنونتي هذه! لقد أرسلت المربيات إلى بيت أمها والخدم إلى المزرعة. وإني لا ألومها في هذا، لكني لا أدري لماذا وضعت مصاعب كثيرة قبل أن تقبل بأن نضعها في سريرها: - لا أريد، لا أريد!..ماذا سأفعل؟ ما الذي تريدون مني أن افعله؟..آه آه..!..آه يا أمي!..- ذلك حتى وبختها أمها ثم وضعتها في السرير! فلتُصبها حمّى لا تبرحها! إني أحب المرأة الصعبة، لكن ليس إلى هذه الدرجة، فقد أوجعت رؤوسنا بأحلام العصافير التي في رأسها! إنها قد تجيب: «وماهو جُرمي؟» إن هي سمعت أحدَهم يبتهل ويقول: «فلتمت مشنوقةً أفضلُ فاضلة في مدينة فلورنسة». أنا على يقين أن الميل سيدخل في المكحل قبل أن أتنحى جانباً، وأني لا بد أن أقول ما يقال: «رأيت ذلك بأمّ

عيني". على كلٍّ هاأنذا الآن على مايرام! بل إني أبدو أكثر شباباً، أطول قامة، أنحف، حتى أنه لايمكن للآخرين أن يعرفوني. وليس هناك الآن أي امرأة في كل فلورنسة قادرة على تجعلني أدفع كيما أنام معها. لكن أين لي الآن أن أجد أولئك؟

*   *   *

الفصل الرابع

المنظر التاسع

ليغوريو، السيد نيتشا، الراهب تيموتيو ، سيرو

ليغوريو

مساء الخير أيها السيد.

نيتشا

أوه، إيه! إيه!

ليغوريو

لا تخافوا، إننا نحن.

نيتشا

أوه! كلكم هنا؟ لو لم أتعرف إليكم لهجمت عليكم كلكم بهذا الخنجر! أنت؟ هل أنت ليغوريو؟ أوَ أنت سيرو؟ أوَ ذاك هو المعلم؟ آه!

ليغوريو

نعم، أيها السيد!

نيتشا

دعني أرى! لقد تنكر بحنكة، ولن يعرفه أشدُّ الناس فراسة.

ليغوريو

لقد وضعت له جوزتين في فمه حتى لا يُعرف صوته.

نيتشا

إنك جاهل غبي.

ليغوريو

لماذا؟

نيتشا

لأنك لم تخبرني بهذا من قبل: لكنتُ وضعتُ أنا أيضاً مثلها في فمي، فأنت تعرف أهمية ألا يُعرف صوتي.

ليغوريو

خذ! ضع هاته في فمك.

نيتشا

ماهذه؟

ليغوريو

إنها كرة من شمع.

نيتشا

هاتها... قا، به، قو، قو، قا.. تفه.. اللعنة عليك أيها الأحمق اللعين.

ليغوريو

أستميحكم عذراً فقد أعطيتكم واحدة غيرها خطأً ودون أن أنتبه.

نيتشا

قا، به، قو، قو. ممَ كانت؟

ليغوريو

علقم.

نيتشا

اللعنة! ألا تقل شيئاً أيها المعلم؟

تيموتيو

لقد أغضبتني يا ليغوريو.

نيتشا

أوه! لقد أحسنت تنكير صوتك.

ليغوريو

يجب ألا نهدر مزيداً من الوقت هنا. سأكون أنا القائد وأقود الجيش طيلة اليوم. كاليماكو في الميمنة، أنا في الميسرة، وبينهما الدكتور. سيرو سيبقى في المؤخرة ليدعم الجميع فلا يميل أحد منهم. كلمة السر ستكون القديس كوكو كي كي.

نيتشا

من هو هذا القديس كوكو كي كي؟.

ليغوريو

إنه أكثر القديسين تقديساً في فرنسا. هيا بنا. لننصب الكمين من هذه الناحية. أصيخوا السمع، إني اسمع صوت عود.

نيتشا

بلى، إنه كذلك. ماذا تريدون أن تفعلوا؟

ليغوريو

فلنرسل كشّافاً يستطلع مَن القادم، وسنتصرف بحسب مايشير إلينا.

نيتشا

من نرسل؟

ليغوريو

فليذهب سيرو. إنك تعرف ما الذي يجب فعله. استطلع، تفحص، عد سريعاً وأخبرنا.

سيرو

إني ذاهب.

نيتشا

لا أريد أن نأخذ شخصاً عجوزاً عنّيناً أو مريضاً، فنضطر لإعادة الكرة مساء الغد.

ليغوريو

لا تقلقوا. إن سيرو رجل قدير. هاهو قد عاد، ماذا وجدت يا سيرو؟

سيرو

إنه أجمل فتى رأيته! لا يتجاوز عمره الخامسة والعشرين سنة. يرتدي معطفاً قصيراً ويعزف على العود.

نيتشا

إن كان حقاً الذي قلته، فهذا عينُ ما نريد. أما إن كنت تكذب فسينقلب وعاء الحساء عليك.

سيرو

إنه كما أخبرتكم.

ليغوريو

لننتظره هنا وما إن يظهر من هذا الطرف حتى ننقضّ عليه.

نيتشا

تعال إلى هنا أيها المعلم، إنك تبدو متخشباً. هاهو.

كاليماكو

فليدخل الشيطان في سريرك

لأني لا أستطيع أن أدخل محله!

ليغوريو

اصمد! هات عنك هذا العود!

كاليماكو

أواه! بماذا أذنبت؟

نيتشا

سترى! غطي رأسه وكممه!

ليغوريو

دوِّره!

نيتشا

مرة أخرى! مرة أخرى أيضاً! ضعه في البيت!

تيموتيو

سيد نيتشا..أريد الذهاب لأستريح، لشد ما يؤلمني رأسي، إني أموت. وإن لم تحتاجوا إلي فسأعود غداً في الصباح.

نيتشا

حسناً أيها المعلم، لا ترجع، سنتدبر الأمر لوحدنا.

*   *   *

الفصل الرابع
المنظر العاشر

الراهب تيموتيو لوحده

تيموتيو

لقد اجتمع كثيرون في البيت، لذلك فإني سأذهب إلى الدير. أما أنتم أيها المشاهدون فلا تكثروا كيلَ اللوم علينا لأنه في هذه الليلة لن ينام مخلوق، بحيث لا يوقف الزمانُ فصولَ المسرحية[١]. أنا سأذهب لأؤدي صلواتي، ليغوريو وسيرو سيذهبان لتناول العشاء لأنهما لم يذوقا اليوم طعاماً البتة، الدكتور سيتجول جيئةً وذهاباً بين الصالون والمطبخ حتى يتأكد من أن الطبخة نضجت. أما كاليماكو والسيدة لوكريتسيا فلن يناما لأني أعرف أني لو كنت مكانه وكنتم مكانها أنهما لن يناما.

* * *

---

(١) يعني أنه لن يكون هناك بين الفصل الرابع والخامس أي استراحة، بل سيكون هناك استمرار بين فصلي المسرحية: والواقع أن الراهب تيموتيو يختم الفصل الرابع ويبدأ بالخامس بإشارةٍ خبيثة إلى ليلة الغرام بين لوكريتسيا وكاليماكو.

أغنية بعد الفصل الرابع

آه ليلتي الحلوة،
أه سويعاتي اللطيفة المقدسة
تلطفين آلام العشاق الحارقة
تجتمع فيكن كثير
من المباهج، وفيك ما يُخْمِدُ
نيران الجوى
أنت تهبين جموعَ العشاق
ما يستحقونه من جوائز
تُعوِّض عن مشاقّ طالما عذبتهم أشد العذاب
إنك تُلهبين بالهوى
قلوباً تجمدت، مثلجة.

* * *

الفصل الخامس

المنظر الأول

الراهب تيموتيو لوحده

تيموتيو

لم أستطع هذه الليلة إغلاق جفنٍ تشوقاً لمعرفة كيف انتهى الأمر بكاليماكو وصحبه. لقد انتظرت وقتلت الوقت أفعل كثيراً من الأمور: تلوت أدعية الفجر، قرأت سيرة الآباء القديسين، ذهبت إلى الكنيسة وأشعلت قنديلا كان مطفأً، بدلت المنديل الذي يجلل تمثال العذراء صانعة المعجزات. كم مرة قلت للرهبان أن يحافظوا على النظافة! ثم يتعجبون من تناقص الإخلاص والتقوى! أذكر أنه كان لدينا خمسمائة صورة لم يبق اليوم منها إلا عشرين: هذا عيب فينا أننا لم نحافظ على اعتبارها. اعتدنا سابقاً أن نسير كل مساء بعد الصلاة في موكب وكنا ننشد كل سبت صلوات الشكر. كنا نقدم النذور وكانوا يضعون صوراً جديدة، خلال الاعتراف كنا نشجع الرجال والنساء على تقديم النذور. أما الآن فلاشيء من كل هذا. ثم يعجبون أن الأمور

بردت! أه كم عقولهم صغيرة رهباني أولئك! لكني اسمع الآن ضجة كبيرة تصدر عن دار السيد نيتشا، هاهم ياربي يلقون بالسجين خارج البيت. لابد أني وصلت في الوقت المناسب. لقد استغلوه حتى القطرة الأخيرة، فهاهو الفجر قد انبلج. أريد أن أبقى مستتراً هنا حتى أسمعهم دون أن يروني.

* * *

الفصل الخامس

المنظر الثاني

السيد نيتشا. كاليماكو، ليغوريو، سيرو *متنكرين*

نيتشا

خذه من هنا، وهناك، وأنت يا سيرو انزعه من معطفه، إلى الأمام.

كاليماكو

لا توجعوني!

ليغوريو

لاتخف، هيا انطلق.

نيتشا

لن نذهب إلى هناك ثانية.

ليغوريو

قلت الحق. لنتركه هنا. دوِّره مرتين حتى لا يعرف من أين جاء، أدره يا سيرو.

سيرو

هاك!

نيتشا

دوره مرة أخرى!

سيرو

هاقد فعلت.

كاليماكو

أين العود؟

ليغوريو

اذهب يا أحمق، هيا اختفي! إن سمعت حرفاً آخر سأقطع رقبتك!

نيتشا

لقد هرب. فلنذهب وننزع ملابس التنكر: ولنحاول أن نظهر كلنا باكراً هذا الصباح على الملأ حتى لايُعرف أننا سهرنا طيلة الليل.

ليغوريو

هذا صحيح.

نيتشا

اذهب أنت وسيرو لعند المعلم كاليماكو وأخبراه أن الأمور سارت على مايرام.

ليغوريو

وبماذا نخبره ونحن لا نعرف شيئاً، فأنت تعلم أننا ما إن وصلنا البيت حتى هبطنا إلى القبو المليء بأنواع الشراب، بينما بقيتم أنتم مع حماتك ولم نركم إلا قبل قليل عندما ناديتمانا لنطرده.

نيتشا

هذا صحيح. عليّ أن أخبركما أخباراً سارة. كانت إمرأتي الشابة في سريرها في الظلام، وكانت سوستراتا تنتظرني قرب المدفأة، عندما وصلت مع ذاك الأشعث. لقد أردت أن أرى كل شيء على التمام فجرّيته نحو غرفة المؤن وكان فيها ضوء باهت يلقي بعض النور عليه لكنه لا يسمح له برؤية وجهي.

ليغوريو

نعمَ الحصافة.

نيتشا

أمرتُه بأن يتعرى، وما إن ركع حتى هجمت عليه كالكلب المسعور كي يسرع في خلع ثيابه حتى بقي عارياً أمامي. كان له وجه قبيح بأنف أقبح وفم أعوج لكنك لم تر كم كانت بشرته جميلة، بيضاء ناصعة وبضة مكتنزة! ولا تسألاني عن الأمور الأخرى!

ليغوريو

ولا حاجة للتفكير فيها، فما وجه الضرورة في رؤية كل شيء؟

نيتشا

هل تمزح؟ لقد وضعت يدي في الطبخة لأني أردت أن أتحقق من كل التفاصيل، وأن أرى إذا كان سليماً معافى أو كان مصاباً ببوادر مرض كالزهري. أين كان سيقودنا مثل هذا؟ أخبرني.

ليغوريو

معك كل الحق.

نيتشا

ما إن تأكدت أنه سليم حتى قدته ورائي في الظلام إلى الغرفة ثم وضعته في السرير. أردت قبل أن أغادر أن ألمس لمس اليد كيف تسير الأمور لأنه ليس من عادتي أن أقبل بأي خديعة.

ليغوريو

بأي حكمةٍ نظمتم هذا الأمر!

نيتشا

ما إن تأكدت أني حزت على كل ما أريد حتى غادرت الغرفة وأحكمت إغلاق الباب ثم ذهبت لعند حماتي التي كانت تنتظر قرب المدفأة وانتظرنا سوية هناك ونحن نتناقش.

ليغوريو

وحول ماذا دار النقاش؟

نيتشا

حول حماقة لوكريتسيا وكيف كان من الأفضل أن لا تعاند مثلما فعلت. ثم إننا تكلمنا عن الطفل وكيف بدأت أتخيل أني أحمله على ذراعي: ذلك الوغد الصغير! هكذا حتى سمعت الساعة تدق الثالثة عشرة وخشيت أن ينبلج الفجر فذهبت إلى الغرفة. وما رأيكم في أني لم أتمكن من سحب ذلك اللعين؟

ليغوريو

أصدقك.

نيتشا

لقد أعجبه الدسم! لكني سحبته وإنتزعته، ثم ناديتكما لنطرده خارج البيت.

ليغوريو

لقد نجح الأمر إذن.

نيتشا

ما رأيك أن هناك ما يؤلمني بالفعل؟

ليغوريو

ما هو؟

نيتشا

أن ذاك الفتى المسكين سيموت قريباً، لأن هذه الليلة كلفته الكثير.

ليغوريو

لا تقلقوا لهذا، دعوا الأمر له.

نيتشا

هذا هو الصحيح. لكنه ليس في مقدوري انتظار المعلم كاليماكو أكثر مما أنتظرت، لأني أريد أن أهنئه على هذا النجاح.

ليغوريو

لابد أن يظهر بعد ساعة. لكن الصبح تجلى: نحن سنذهب لنغير ملابسنا، فماذا أنتم فاعلون؟

نيتشا

سأعود أنا أيضاً إلى البيت وأرتدي ملابس لائقة، ثم سأهز المرأة لتنهض وتغتسل، فآخذها إلى الكنيسة لتتقدس. أود أن تكونوا مع كاليماكو هناك، لنتكلم مع الراهب ونشكره ونكافئه.

ليغوريو

هذا صحيح. هذا ما سنفعله. إلى اللقاء.

* * *

الفصل الخامس

المنظر الثالث

الراهب تيموتيو لوحده

تيموتيو

لقد سمعت هذا النقاش، وأعجبني كله، لقد رأيت ما رأيت من غباء هذا الدكتور ولشد ما سلّتني هذه النهاية الأخيرة. بما أنهم قادمون لعندي فلا حاجة للبقاء هنا، بل سأذهب إلى الكنيسة، ففيها أستطيع أن أساوم بشكل أفضل. لكن من الذي يخرج الآن من ذلك البيت؟ لابد أنه ليغوريو ومعه كاليماكو. لا أريد أن يرياني للأسباب السابقة: حتى لو لم يجيئا لزيارتي فهناك دائماً وقت للاجتماع بهما.

* * *

الفصل الخامس

المنظر الرابع

كاليماكو، ليغوريو.

كاليماكو

أخبرتك يا ليغوريو العزيز أني بقيت مستاءً حتى الساعة التاسعة لأن رغبتي كانت عارمة لكنه لم يبد لي مناسباً أن أبدأ. عملت بعدها على تعريفها بنفسي وأفصحت لها عما يعتلج من حب في صدري وأن بساطة الزوج ستساعدنا على أن نعيش سعداء بدون فضائح، ثم إني وعدتها أننا عندما يريد الله أن يفعل فعلةً به فإنها ستصبح زوجتي. ورغم وجود أسباب حقيقية أخرى، فإنها بدأت تتذوق الفرق بين تقنياتي وسلوك نيتشا وبين قبلات عاشق شاب وقبلات زوج عجوز. وهكذا فإنها تنهدت ثم قالت: «إن دهاءك، وحماقة زوجي، وبساطة أمي، ونفاق الراهب الذي اعترفُ عنده، جعلتني كلها أقوم بما كان من المستحيل أن أقوم به من تلقاء نفسي، وإني أميل الآن للظن بأن هذا كله حدث بتدبير سماوي وإني لست بالطبع قادرة على دفع ما تريد السماء أن أقبل به. لذلك فإني اقبل بك سيداً لي، معلماً ودليلاً: أنت أبي، أنت تدافع عني وتحميني، وأريد أن تكون خيرَ كلِّ

امري. وإني أرغب اليوم بأن يحدث على الدوام ذاك الذي أراده زوجي أن يحدث لليلة واحدة. ستكون أنت إذن صديقاً له وستأتي هذا الصباح إلى الكنيسة ثم تأتي بعدها إلى البيت لتناول الطعام معنا، ثم إنه بوسعك أن تأتي وتذهب على هواك ومتى تشاء دون أن يثير هذا أي شك لدى أي إنسان». لقد متّ فرحاً وأنا أسمع هذه الكلمات، ولم أتمكن من الإجابة بشيء مما كنت أود أن أقوله، بل كنت أشعر أني أسعد رجل على وجه الأرض. إن لم تذهب عني هذه السعادة بسبب الموت أو طوارئ الزمان فإني سأكون أكثر المباركين بركةً وأشد القديسين قداسة.

ليغوريو

إني سعيد لما لقيته من سرور ولأن وعودي لك قد تحققت كلها. فماذا نفعل الآن؟

كاليماكو

لنذهب صوب الكنيسة، فقد وعدتها بأن تجدني هناك عندما تصل مع أمها والدكتور.

ليغوريو

إني أسمع صوت بابها يُفتح، هاهما تخرجان والدكتور وراءهما.

كاليماكو

فلنسرع إلى الكنيسة وننتظرهم فيها.

* * *

الفصل الخامس

المنظر الخامس

السيد نيتشا، لوكريتسيا، سوستراتا.

نيتشا

أعتقد يا لوكريتسيا أنه من الواجب الآن أن نقوم بالأمور بما يرضي الله وليس كما يفعل المجانين.

لوكريتسيا

وماذا يجب أن نفعل الآن؟

نيتشا

انظري كيف تجيب! إنها تنقضّ كالديك!

سوستراتا

لا تعجب: إنها مضطربة بعض الشيء.

لوكريتسيا

ماذا كنت تعني؟

نيتشا

أعني أنه من الأفضل أن أتقدمكما أنا وأذهب لأكلم الراهب وأطلب منه أن يستقبلكِ على مدخل الكنيسة ليباركك كما لو أنكِ ولِدتِ اليوم من جديد.

لوكريتسيا

ولماذا لا تسبقنا؟

نيتشا

إنها اليوم غاضبةٌ جداً! بينما كانت مساء الأمس نصف ميتة.

لوكريتسيا

أو عليّ أن أشكرك على هذا؟ أليس كذلك؟

سوستراتا

اذهب للقاء الراهب. لكنه لا حاجة لذلك، فهاهو على باب الكنيسة؟

نيتشا

هذا صحيح.

* * *

الفصل الخامس

المنظر السادس

الراهب تيموتيو، السيد نيتشا، لوكريتسيا، كاليماكو، ليغوريو، سوستراتا.

تيموتيو

لقد خرجت من الكنيسة لأن كاليماكو وليغوريو أخبراني أن الدكتور والنساء قادمون إلى الكنيسة. هاهم.

نيتشا

عمتم صباحاً أيها الأب!

تيموتيو

أهلاً بكم جميعاً، باركك الله يا سيدتي، ووهبكم طفلاً ذكراً!

لوكريتسيا

إن شاء الله!

تيموتيو

سيشاء بإذنه.

نيتشا

هل أرى في الكنيسة ليغوريو والمعلم كاليماكو؟

تيموتيو

بلى ياسيدي.

نيتشا

ادعوهما.

تيموتيو

تعالا.

كاليماكو

حياكم الله!

نيتشا

صافحوا يا معلم يد امرأتي هذه.

كاليماكو

بكل سرور.

نيتشا

هذا هو يا لوكريتسيا السبب في أنه سيكون لنا عكازاً نتوكأ عليه عندما نتقدم في السن.

لوكريتسيا

إني ممتنة له أكثر مما أستطيع قوله وإني على ثقة أنه سيصبح واحداً من العائلة.

نيتشا

بارك الله فيكِ، وإني أريد أن يأتي هو وليغوريو ليتناولا طعام الغداء معنا.

لوكريتسيا

بكل تأكيد.

نيتشا

وإني سأعطيهما مفتاح الغرفة الأرضية التي فوق الرواق ذلك كي يرتاداها على هواهما فهما يعيشان عيشة خشنة بدون نساء في بيتهما.

كاليماكو

أقبل بهذا لأستعملها عند الحاجة.

تيموتيو

وهل سأحصل أنا على النقود التي يجب أن أقدمها صدقات؟

نيتشا

ستصلكم اليوم بحق الله.

ليغوريو

ولا أحد يتذكر سيرو؟

نيتشا

فليطلب: كل ما لدي هو له. كم غروسي معك يا لوكريتسيا لنعطي الراهب؟

لوكريتسيا

لا أذكر.

نيتشا

كم نعطه؟

لوكريتسيا

أعطه عشرة.

نيتشا

العمى!

تيموتيو

أما أنت يا سيدة سوستراتا فتبدين أنك استعدت شبابك.

سوستراتا

ومن لا يُسرُّ!

تيموتيو

لندخل جميعاً إلى الكنيسة ونتلو صلوات مباركةِ الحمل. بعد ذلك ستذهبون لتناول الطعام - أيها المشاهدون: لا تنتظرونا حتى نخرج لأن الصلاة ستكون طويلة وسأبقى أنا في الكنيسة، بينما سيخرجون هم من الباب الجانبي ليذهبوا إلى البيت. دمتم سالمين.

* * *

الفهرس

الصفحة

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الطبعة الأولى / ٢٠١٢م
عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة

La Mandragola

Niccolò Machiavelli





www.syrbook.gov.sy

مطابع وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٢م

سعر النسخة ١٠٠ ل.س أو ما يعادلها